

آثار القيم الدينية والأخلاقية

في المجالين العلمي والعملي

إعداد الدكتور:

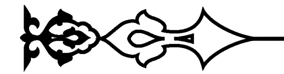
إبراهيم ثروت حداد عافية

دكتوراة الدراسات اليهودية وتاريخ الأديان

كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر





مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم


مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



الملخـــص

الحمد لله مُصَرِّفِ الأمورِ بحكمتهْ، ومُجْرِيهَا كيفَ يشاءُ بقدرتِهْ، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ محمدٍ، المبعوثِ للعالمِ لِكَشفِ زَلَته، وعلى آلهِ الطيبينَ، وكُلِّ من تَبعَ سُنَتَه إلى يومِ الدين.

فهذا بحث بعنوان (آثار القيم الدينية والأخلاقية في المجالين العلمي والعملي)، قدم فيه كاتبه تأصيلًا علميًّا عن مفهومي القيم والأخلاق، وعرج إلى بيان الآثار المترتبة على تطبيق هذه القيم، في المجتمع بأسره، سواء على المستوى العلمي أو العملي "الدعوي والاجتماعي"، ومدى تأثيرها في ضبط سلوك الفرد وأهميتها في بناء مجتمع صالح، وقد تناول الباحث بعض القيم الدينية بالدراسة وتتبع آثار كل قيمة على حدة، ومن هذه القيم: التواضع، والكرم، والأمانة، والإخلاص، والصبر، والعدل، والصدق، والرحمة، والقوة، والحلم.

وخلص الباحث إلى أن تطبيق هذه القيم الأخلاقية تؤدي نجاحًا باهرًا في المجتمع، ومن شأنها أن ترفع مجال الدعوة وتهيئه ليكون الأنجح والأنجع عن غيره من المجالات التي من شأنها تقريب العباد إلى ربهم، وأشار إلى أهمية دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية دراسة مقارنة مع ما جاء من قصص دينية وآثار؛ لما في ذلك من ربط بين العلم والدين، مما يدفع لقبولها والعمل على نتائجها.

The Impact of Religious Values on the Scientific and Practical Fields

By: Ibrahim Tharwat Hadad Afia
A PhD in Jewish Studies and the History of Theologies
Faculty of Languages and Translation, Azhar University



Abstract

The researcher has introduced, in this research, an academic referential of the concepts values and ethics. Then the researcher is keen on displaying the aftermath of utilizing those ethics by all members of the society whether academically or practically (socially and religiously) to show how far they influenced the individual behavior as well as its importance in building a good society. The researcher has handled some religious values in detail to show the influence of each one in separate. Some of those values are modesty, generosity, honesty, sincerity, patience, justice, credibility, mercy, strength and leniency.

The researcher has found out that utilizing these ethical values would lead to unparalleled success for the society and it would also promote the missionary work so as to become more successful than other fields so that worshippers would come closer to their almighty Allah. The research has drawn attention to the crucial role of social sciences and humanities in comparison with the religious narratives so that science and religion could meet something which makes the study realistic.

Keywords: values, ethics, academic field, practice- social sciences.

مقدمة

الحمد لله مُصَرِّفِ الأمورِ بحكمتهْ، ومُجْرِيهَا كيفَ يشاءُ بقدرتِهْ، أَنعَمَ على قَومٍ فَأَوقفَهُم على ما خَفِيَ من بَدِيعِ صِنعَتِهْ، وَوَفَقَهُم لاتِبَاعِ كُلِّ ما جاءَ عن شريعَتِه، فآتاهُم بيانًا وحِكَمًا، وألهمهُم معارِفَ وعِلمًا من تمام رحمته، وصلاةً وسلامًا على النبيِّ محمدٍ، المبعوثِ للعالمِ لِكَشفِ زَلَته، وعلى آلِهِ الطيبينَ، وكُلِّ من تَبعَ سُنَتَه إلى يومِ الدين.

كانت القيم الدينية والأخلاقية ولا تزال ضرورة ملحة لدى المجتمعات عمومًا دون تمييز أو تخصيص؛ ذلك أن الإنسان لم يولد ليعيش في كهف مغلق مع نفسه، وما كان هذا هو مقصد الله عز وجل من خلق البشر؛ إنما أوجدهم ليتفاعلوا مع بعضهم البعض، ومع مجتمعهم ومع غيرهم من المجتمعات، وذلك مصداقًا لقوله الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإذا ارتضينا سويًّا أن هذه هي الفطرة التي خلق الله الناس عليها؛ فإنه يتحتم على جميع البشر التعبير عن آرائهم المختلفة تجاه غيرهم قولًا وفعلًا وتقريرًا، فقد ظل الناس منذ آلاف السنين يكافحون من أجل الحصول على حرية التعبير، والنقد للقضايا الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية. وقد واجه الناس في معظم الأوقات ومعظم المجتمعات، مخاطر التعرض لعقوبات شديدة تصل إلى حد القتل؛ بسبب رغبتهم في التعبير عن آرائهم بوضوح وحرية، وهذا ما نلمسه في تاريخ اليونان والرومان، وبداية ظهور الرسالات، سواء اليهودية أو النصرانية أو الإسلام.

ويمتد الكفاح من أجل هذه الحرية إلى العصور القديمة، "وهو كفاح الأفراد والجماعات ضد بيئتهم السياسية والثقافية. وتستمد حرية التعبير هذه جذورها من الفكر الأخلاقي؛ ذلك أن الأخلاقيات هي نظام المبادئ، وهي قيم وقواعد الحياة التي يدركها فرد أو جماعة أو ثقافة، من خلال بحثهم عن إرشادات للمثل الإنسانية؛ لمعرفة ما هو جيد وما هو سيئ، وما

هو صواب وما هو خطأ. وتمتد جذور الفكر الأخلاقي إلى كبير الصين "كونفوشيوس = ٥٥٠ – ٤٧٩ق.م."، والذي ما زال تأثير أفكاره على الصين الحديثة والولايات المتحدة الأمريكية لا حدود له إلى الآن. ويعتمد العنصر الأساسي للفكر الأخلاقي عند "كونفوشيوس" على الملاءمة، أي آداب المجتمع، فالممارسات تعبر عن فضائل إذا ما كانت تؤدى بشكل ملائم أو متوافق مع آداب المجتمع"(١).

وقد تطورت فكرة التعبير عن الرأي قديمًا حتى ظهرت بشكل منظم "من خلال مجموعة من المعلمين المحترفين للفلسفة والخطابة، عُرفوا باسم "السفسطائيين"، يمكن النظر إليهم باعتبارهم رواد الأخلاق؛ لاهتمامهم بدراسة مشكلة وضع الإنسان في الكون، حيث قالوا إن الإنسان هو مقياس الأشياء جميعًا، فما يبدو لي أنه حق، فهو حق بالنسبة لي، وما يبدو لك أنه حق هو حق –أيضًا– بالنسبة لك، ومن ثم اتحدت الحقيقة مع الظاهر، وأصبحا شيئًا واحدًا، أي أننا ندرك الحقيقة عن طريق الإحساس، فالمعرفة هي الإدراك الحسي، وهكذا تختفي التفرقة بين الحس والعقل. وامتدت هذه النظرية حتى شملت الأخلاق السياسية؛ فأصبح الفرد مقياس الخير والشر، وإذا كانت الحقائق في مجال المعرفة نسبية متغيرة، وليست مطلقة ثابتة، كانت القيم والمبادئ في مجال الأخلاق نسبية متغيرة، بتغير الزمان والمكان، وباختلاف الظروف والأحوال"(٢).

---

(١) مكاوي، حسن عماد: أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة. الدار المصرية اللبنانية، ط ١، سنة ٢٠٠٣م، ص ٢٣.

(٢) الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق؛ نشأتها وتطورها. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٨٥م، ص ٤٨. ويمكن من خلال النظرية السفسطائية أن نخرج "بمبدأين أساسيين، هما: المبدأ الأول: أن يكون الإنسان هو مقياس الأشياء جميعًا، وبالتالي فإن الخير هو خير الفرد، أو ما يراه خيرا، بحيث تصبح الفضيلة هى لذة الفرد؛ مما يؤدي إلى انهيار الأخلاق بالمعنى الدقيق للكلمة. المبدأ الثاني: هو مبدأ

ومن هنا يمكن القول إن القيم بمفاهيمها المختلفة وخصوصًا القيم الدينية والأخلاقية، على ارتباط وثيق بحرية التعبير، ولا شك أن الأديان جميعًا تتفق على "استنادها إلى موقف معين من القيم، ولعلها هي نفسها موقف قيمي صريح؛ لأن عقائدها لا تعنى بتفسير الكون بقدر ما يجد الإنسان ما ينبغي أن يقوم به إزاء هذا الكون"(١). هذا؛ ويعد الدين "قيمة من القيم شأنه شأن النفس والمال، أو العقل أو النسل، وهو قيمة ضرورية للحياة الإنسانية"(٢).

موضوع البحث:

أما موضوع البحث فهو: (**آثار القيم الدينية والأخلاقية في المجالين العلمي والعملي**)، ويعد هذا البحث امتدادًا لبحث آخر سبقه في نفس الإطار، تم تقديمه ضمن فعاليات المؤتمر الدولي القيم في الأديان (١)، الذي نظمه مركز الدراسات الشرقية، بكلية الآداب جامعة القاهرة، بالتعاون مع مركز سيسمور للأديان التوحيدية التابع لجامعة دوشيشا باليابان، وذلك في شهر فبراير، لسنة ٢٠١٢م، والذي جاء تحت عنوان: (القيم الدينية والأخلاقية عند أصحاب الشرائع السماوية، دراسة تحليلية).

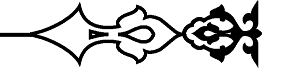
تساؤلات البحث:

تكمن تساؤلات هذا البحث في تساؤل رئيس، يتفرع منه عدة تساؤلات. أما التساؤل

النسبية؛ ذلك الذي ينشأ مباشرة من مبدأ الذاتية، بحيث لا يكون هناك خير مطلق ما دام الفرد يرى أن ما هو خير هو خير بالنسبة له، فليس هناك خير عام ينطبق على المواطنين جميعًا، وليس هناك ما يسمى بالخير الموضوعي الذي يتفق عليه الناس جميعًا، وكما أن الخير يختلف من فرد إلى فرد، فإن الخير يختلف من عصر إلى عصر، ومن مجتمع إلى مجتمع". انظر: إمام، إمام عبد الفتاح: فلسفة الأخلاق. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩٠م، ص ص ٦٧ – ٦٨.

(١) قنصوة، صلاح: نظرية القيم في الفكر المعاصر. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط٢، سنة١٩٨١م، ص١٦٠

(٢) علوان؛ فهمي محمد: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، سنة ١٩٨٩م، ص ١٦٥.



الرئيس فهو:

- ما هي الآثار الناتجة عن تطبيق القيم الدينية والأخلاقية؟

وأما ما يتفرع منه:

١. ما هي الآثار الناتجة عن تطبيق القيم الدينية والأخلاقية في المجال العلمي؟

٢. ما هي الآثار الناتجة عن تطبيق القيم الدينية والأخلاقية في المجال العملي؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

١. بيان الآثار الناتجة عن تطبيق القيم الدينية والأخلاقية في المجال العلمي؟

٢. بيان الآثار الناتجة عن تطبيق القيم الدينية والأخلاقية في المجال العملي؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب في بطون أمات[1] الكتب، اتضح وجود العشرات من الكتب التي تناولت قضية القيم والأخلاق عند الفلاسفة والمتكلمين، إلا أن هذا البحث آثر على أن يجعل تركيزه حول الدراسات والبحوث العلمية الحديثة، سواء الاجتماعية أم التربوية أم الدينية؛ فوجد ما تطمئن إليه النفس فيما يخدم قضية القيم والأخلاق عمومًا، من ذلك:

الدراسة الأولى: ما قام به الباحث محمد عبدالله دراز، في رسالته الموسومة بـ(دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن)، وهي دراسة دكتوراة، جامعة السوربون، سنة ١٩٤٧م.

---

(١) يقال أمهات للناس، وأمَّات للأشياء.

انظر: الألمعي، إبراهيم مضواح: روائع الطنطاوي، روائع من أدبه وفوائد من كتبه، ويليه الفوائد الطنطاوية، فوائد لغوية من حواشي كتب الشيخ الطنطاوي. دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، سنة ٢٠١٠م، ص ٣٤٦.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى استخلاص الشريعة الأخلاقية من القرآن في مجموعة مبادئها النظرية، وقواعدها العلمية، في صورة متماسك مستقل عن كل ما يربطه بالمجالات القريبة منه، ليتوصل الباحث إلى:



١. أن القرآن قدم كل العناصر الضرورية لكي تكون لدينا فكرة دقيقة عن الطريقة التي ينبغي أن تتصور بها معنى الأخلاق، والنتائج التي تترتب على موقفنا منها، والمبدأ الذي يجب أن يلهم سلوكنا، والوسيلة إلى الفضيلة، والإلزام والمسئولية، والجزاء والنية والجهاد.

٢. أن النظام الأخلاقي في القرآن لا يجعل الجزاء في السماء فقط؛ إنما في الضمير الأخلاقي والسلطة الشرعية أيضًا.

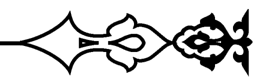
٣. أن النظام الأخلاقي في القرآن لا يمكن أن يصبح بالنسبة إلينا تكليفًا أخلاقيًّا إلا برضانا.

الدراسة الثانية: ما قام به الباحث عدنان يوسف سكيك، وهي الدراسة المعنونة بـ (الشخصية الإنسانية كما صورها القرآن الكريم وانعكاس مثلها على صورة البطل في الأدب العربي)، وهي دراسة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

وقد هدفت هذه الدراسة –من ضمن أهدافها الكثيرة– إلى إبراز معالم صورة الإنسان المؤمن، ومعالم المجتمع الإنساني كما أرادها القرآن، واستنباط القيم الإنسانية التي تحدد سلوك الفرد والجماعة من القرآن الكريم. وقد خلصت الدراسة إلى:

١. أن القرآن الكريم يشتمل على كثير من القيم الأخلاقية والروحية التي تمكن المسلم من السلوك الصالح، إذا ما تمثل هذه القيم ونشأ عليها، من ذلك الإيمان بالله، وعدم الشرك به، والعمل الصالح.

٢. اشتمال القرآن على كثير من القيم الاجتماعية التي تحكم علاقات الأفراد في المجتمع، وينهض على أساسها مجتمع صالح مثالي، مثل الزواج أو الإحصان، والإخاء،



والولاء، والبناء والتعمير، والعمل، والاعتدال.

٣. اشتمال القرآن على كثير من صور القيم التي تحدد معالم القيادة الرشيدة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم، مثل العدل، والحق، والشورى، والحكم بما أنزل الله.

الدراسة الثالثة: دراسة الباحث سعيد عبد الحميد محمود السعدني، والتي جاءت بعنوان (القيم التربوية في القصص القرآني، قصة يوسف نموذجًا)، وهي دراسة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، قسم أصول الدين، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨٢م.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى استنباط القيم التربوية من قصة يوسف عليه السلام ، وخلصت إلى:

١. أن قصة يوسف عليه السلام بها أكثر من أبع وثلاثين قيمة مختلفة، يمكن تصنيفها في المجموعات الآتية: القيم الأخلاقية، والذاتية، والاجتماعية، والجسمانية، والترويحية، والعلمية.

٢. أن أهم هذه القيم هي القيم الأخلاقية، ويتصدرها الصدق والأمانة والإخلاص.

الدراسة الرابعة: دراسة الباحث سيد أحمد السيد الطهطاوي، والتي جاءت بعنوان: (القيم التربوية في القصص القرآني)، وهي دراسة ماجستير غير منشورة، كلية التربية بأسوان، جامعة أسيوط، مصر، سنة ١٩٨٦م.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى استخراج القيم التربوية كما تظهر من خلال القصص القرآني، بوصف هذه القيم هي قيم كل الأنبياء والمرسلين، والتعرف على الدور الذي تلعبه القصة القرآنية في غرس القيم الإسلامية في نفوس النشئ. وخلصت الدراسة إلى:

١. أن جميع قصص القرآن تشمل على ثلاثة وثلاثين قيمة، جمعتها التصنيفات التالية: القيم الوجدانية، والأخلاقية، والعقلية، والاجتماعية، والجسمانية، والجمالية.

٢. أن القيم الأخلاقية في القصص القرآني هي: الرحمة، واللين، والعدل، والصدق، والصبر، والعفو والصفح، والمحبة، والخلق، والنقاء، والطهر، والطاعة، والتقوى.

الدراسة الخامسة: دراسة قام بها الباحث عبد الله محمد أحمد حريري، والتي جاءت بعنوان: (القيم في القصص القرآني الكريم)، وهي رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، سنة ١٩٨٨م.



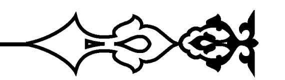
وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز القيم المتضمنة في القصص الثلاث: إبراهيم، ويوسف، وموسى عليهم السلام، وتحديد مدلولاتها التربوية، وخلصت الدراسة إلى أن هناك عدة خصائص قد تميزت بها القيم المستنبطة من القصص الثلاث، وهي خصائص تجعل من هذه القيم ضوابط فعالة للسلوك البشري إذا أحسن فهمها وتأسيس التربية بمفهومها الواسع، وهي: الاتساق، والمرونة، والشمول، والكمال، والواقعية، والتوازن، والوضوح.

الدراسة السادسة: دراسة قامت بها الدكتورة إيمان عبد المؤمن سعد الدين، جاءت بعنوان: (الأخلاق في الإسلام، النظرية والتطبيق)، نشر مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بعلم الأخلاق باعتباره يمثل الدعامة الكبرى في تكوين الشخصية السوية، ويستقي معالمه من المصادر الإسلامية، مع تحليل الخصائص الأخلاقية، والمميزات في الفكر الإسلامي، وإبراز انعكاسات هذه القيم الأخلاقية على واقع المجتمع المسلم. وقد خلصت هذه الدراسة إلى:

١. أن الأخلاق الإسلامية تختلف عن الأخلاق الأخرى غير الإسلامية من حيث المضمون والغاية والشمول والوسطية العادلة.

٢. أن هدف الإنسان في هذه الحياة، والذي يتمثل في عبادة الله وخلافته في الأرض،




وتعمير هذا الكون، لا يتم إلا عن طريق التمسك بالأخلاق الإسلامية.

٣. أن الإنسان يحمل في طياته جانبي الخير والشر، ولا يعلو إلى درجة الملائكة، أو ينحط إلى درجة الحيوان أو الشيطان؛ إنما هو إنسان يخطئ فيستجيب للتوجيه والتعديل، ويصيب فيتطلع إلى الارتقاء، فتنموا مواهبه وقدراته وفق أساليب التوجيه والتربية الصحيحة.

الدراسة السابعة: دراسة قامت بها الدكتورة نورة بنت عبد الله بن عبد العزيز الورثان، جاءت بعنوان: (الجانب الخلقي في قصة موسى عليه السلام والمرأتين)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٧، ع٣٣، ربيع الأول، سنة ١٤٢٦هـ.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى الوصول إلى أهم القيم الأخلاقية في قصة موسى عليه السلام والمرأتين، وخلصت إلى:

١. عظيم فضيلة الحياء؛ إذ هي أصل كل خير، ولولاها لم يُقر ضيفًا، ولم يوف بوعد، ولم تؤد أمانة، ولم تقض حاجة.

٢. أن للضيافة آدابا خلقية ينبغي على المضيف المبادرة بها، منها: طمأنة قلب الضيف، وإظهار الأهمية به، والسؤال عن حاله، وحسن اللياقة معه.

٣. أن تحقق التواضع لا يكون إلا بمجاهدة النفس عن الزهو والخيلاء والكبر.

الدراسة الثامنة: دراسة قامت بها الباحثة ابتسام بنت أحمد بن ناصر الحمد، والتي جاءت بعنوان: (القيم الأخلاقية المستنبطة من القصص النبوي في صحيح البخاري ودور الأسرة في تطبيقها)، وهي دراسة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧هـ.

وقد هدفت هذه الدراسة إلى استنباط القيم الأخلاقية التي ضمنها الرسول في قصصه، وبيان الأساليب التي استخدمها فيها من أجل البصير بها. وقد خلصت هذه الدراسة

إلى:

١. أن القصص النبوي زاخر بالقيم الأخلاقية التي هي عماد المجتمع الصالح.

٢. أن القيم الأخلاقية الواردة في قصص صحيح البخاري تعد قيمًا مشتركة عند جميع الأنبياء والرسل؛ لأن منبع التشريع فيها واحد وهو وحي السماء من رب العزة.



الدراسة التاسعة: بحث قام به الدكتور إبراهيم ثروت حداد عافية، والذي جاء بعنوان: (القيم الدينية والأخلاقية عند أصحاب الشرائع السماوية، دراسة تحليلية)، وهو بحث تم تقديمه ضمن فعاليات المؤتمر الدولي القيم في الأديان (١)، المنعقد في جامعة القاهرة كلية الآداب، بالتعاون مع جامعة دوشيشا باليابان، مركز سيسمور للأديان التوحيدية، في الفترة من ١٨ - ١٩ فبراير ٢٠١٢م، نشر دورية المشرق، التي يصدرها مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، عدد خاص..

وقد هَدَفَ هذا البحث إلى بيان مفهوم القيم الدينية والأخلاقية، والتعرف على موقف الشعوب القديمة منها، واستعراض أهم القيم الدينية والأخلاقية في قصص أصحاب الشرائع السماوية من منظور إسلامي، وقد خلص هذا البحث إلى عدة نتائج منها:

١. أن القيم الأخلاقية هي سجايا في النفوس البشرية، أو هي فطرة فطر الله الناس عليها، والإنسان إما أن يحافظ عليها لينميها، أو يفرطَّ فيها فيهْدِمَها داخل نفسه، ومن ثم داخل مجتمعه.

٢. أن المجتمعاتِ القديمةَ حاولت الوصول إلى حقيقة هذه القيم، وحاولت وضع تعريفات لها، ولكنها كانت تعريفات مادية إنسانية بحتة، تربط حدوثها بالإنسان دون تدخل من الله فيها، وتجعل مثوبتها دنيوية، لذلك سرعان ما اندثرت ولم يبق منها إلا شوائِبُها.

٣. أن الأنبياء قد جاءوا إلى أقوامهم معلين من شأن القيم الأخلاقية والحضارية وغيرها،

فكانوا قدوة لقومهم في الصبر والقوة والشجاعة والكرم والحلم وغيره.

٤. أن الله قد اختص أولي العزم من الرسل برسالته إلى البشرية، فكانوا من أشد الناس بلاءً في قومهم، وهنا كان النموذج الواقعي للثبات على القيم.

٥. أن القيم عند أولي العزم من الرسل تنبع من معين واحد، يثاب فاعلها في الدنيا والآخرة، لذلك فهي قيم مشتركة بين جميع الأنبياء.

٦. أن أهم القيم المستنبطة من قصص أصحاب الشرائع السماوية هي الصبر والإخلاص والأمانة والحياء والعدل والتواضع والقوة والحلم.

منهجية البحث:

ينهج هذا البحث -في التطرق إلى كشف أهم القيم الأخلاقية عند أنبياء الله موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم- المنهج التحليلي النقدي - ؛ وهذا المنهج يأتي كإجراء أساس وأولي؛ بهدف تحليل الكليات أو القضايا المركبة، وردها إلي أجزائها لفحصها بعناية، واستجلائها من مختلف جوانبها؛ ومن ثم يتسنى نقد هذه الكليات أو القضايا المركبة[1]. ويستهدف هذا المنهج تصوير وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التجديد[2]، أو دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس، أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع[3]؛ وذلك

---

(١) أبو سليمان، عبد الوهاب: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة. دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ، ص ٢٤.

(٢) حسنين، سمير محمد: تطبيقات في مناهج البحث العلمي؛ بحوث الإعلام. دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٢م، ص ٦٩.

(٣) جابر، عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري: مناهج البحث في التربية وعلم النفس. دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٧٨م، ص ٤.

بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها.

مصطلحات البحث:

القيم:

حاول كثير من الباحثين والدارسين وضع تعريف تفصيلي لمفهوم القيمة وخصائصها وتصنيفاتها، وأفردوا لها الكتب والمباحث الخاصة، إلا أن مفاد القول فيها هو ما تدور حوله من معان لغوية، وهي "الاعتدال والاستقامة والمواظبة، والملازمة، والثبات على الشيء، وعدم الميل عن الحق، والبعد عن الزيغ"(١).

القيم الأخلاقية:

القيم الأخلاقية في التصور الإسلامي هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه(٢)، أو هي مجموع الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة(٣).

الدين:

أما مصطلح الدين وعلاقته بالأخلاق، فيورد البحث ما توصل إليه الدكتور محمد عبد الله دراز وهو أن "الدين هو تلك الحالة التي نسميها التدين، أو هو تلك الحقيقة

(١) حريري، عبدالله محمد أحمد: القيم في القصص القرآني الكريم. رسالة دكتورة غير منشورة، جامعة طنطا، سنة ١٩٨٨م، ص ٤٧.

(٢) شكري، فايزة: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط ١، سنة ٢٠١١م، ص١١٤.

(٣) قميحة، جابر: المدخل إلى القيم الإسلامية. دار الكتاب المصري، لقاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٨٤م، ص٤١.

الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الجارية أو الآثار الخالدة أو الروايات المأثورة، وهي جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقادًا أو عملًا"[1].

سبب اختيار الموضوع:

لا شك أن ما يمكن للقلم أن يكتبه ويعبر عنه حول سبب اختيار هذا الموضوع، هو عالة على سبب رئيس، وهو ما أعلنت عنه جامعة الأزهر الشريف، متمثلة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، التي شرفت بالتخرج فيها، عن قيامها بتنظيم مؤتمرها الدولي الثاني، الذي جاء بعنوان: (العلوم الإسلامية ودورها في ترسيخ القيم المجتمعية)، وإذا كان هذا هو السبب الرئيس؛ فإن ما دفع الباحث للمشاركة في هذا المؤتمر بهذا البحث، هو الأزمة التي تمر بها البلاد، من ضياع للقيم الأخلاقية، وتخبط سياسي واقتصادي واجتماعي، وعدم إحسان الظن بالآخرين، والطعن والتجريح، فكانت فكرة هذا البحث لتبين آثار تطبيق القيم الأخلاقية والدينية التي يلزم على الفرد والجماعة إتباعها للخروج من هذه الأزمة. فضلًا عن كون هذا البحث امتدادًا لبحث آخر سبقه، في ذات الإطار.

خطة البحث:

من أجل عموم الفائدة، فإن هذا البحث يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

أما المقدمة؛ ففيها بيان الموضوع وإشكالياته، وتساؤلاته وأهدافه وفرضياته ومنهجه وسبب اختياره، والدراسات السابقة عليه.

---

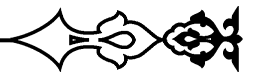
(١) دراز، محمد عبدالله: الدين؛ مجموعة بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٥٢م، ص ٢٥.

وأما المبحث الأول؛ فيأتي تحت عنوان: (آثار تطبيق القيم الدينية والخلقية في المجال العلمي).

وأما المبحث الثاني؛ فيأتي بعنوان: (آثار تطبيق القيم الدينية والخلقية في المجال العملي).

وأما الخاتمة؛ ففيها عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث والتوصيات التي يأمل الباحث الوقوف عليها لتحقيقها.



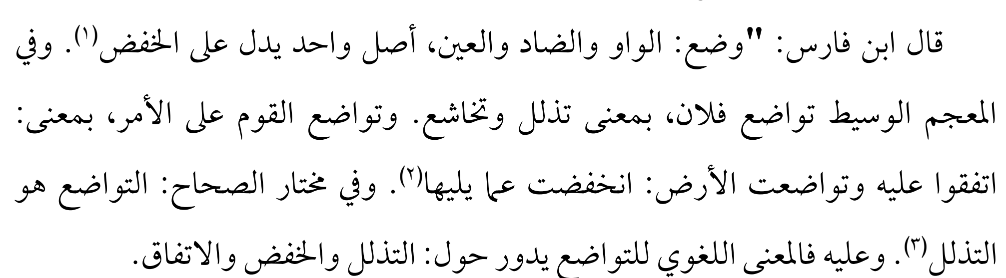


المبحث الأول
آثار تطبيق القيم الدينية والخلقية في المجال العلمي

تحاول الدراسة في هذا المبحث إبراز آثار تطبيق القيم الأخلاقية في المجال العلمي، من خلال تتبع آثار كل قيمة بعينها، وذلك على النحو التالي:



العنصر الأول: قيمة التواضع:


قال ابن فارس: "وضع: الواو والضاد والعين، أصل واحد يدل على الخفض(1). وفي المعجم الوسيط تواضع فلان، بمعنى تذلل وتخاشع. وتواضع القوم على الأمر، بمعنى: اتفقوا عليه وتواضعت الأرض: انخفضت عما يليها(2). وفي مختار الصحاح: التواضع هو التذلل(3). وعليه فالمعنى اللغوي للتواضع يدور حول: التذلل والخفض والاتفاق.

ويعرف القحطاني التواضع بأنه: "إظهار التنزّل لمن يراد تعظيمه(4). ويعرفه العودة بقوله "التواضع هو معرفة المرء قدر نفسه، وتجنب الكبر الذي هو بطر الحق وغمط الناس"(5). ويقدم علوان توصيفاً لمعنى خلق التواضع بقوله: "المقصود بالتواضع: أن يمشي المؤمن بين

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩م، ص ١٠٩٤، مرجع سابق.

(2) إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د. ط. سنة ١٤١٠هـ، ص ١٠٤.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٥هـ، ص ٦٢٣.

(4) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة. منشورات مكتبة الألوكة الإلكترونية، د ط، د ت، ص ٢٤.

(5) العودة، سلمان بن فهد: من أخلاق الداعية، سلسلة نحو ترشيد الصحوة. دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤١١هـ، ص ٢٠.

الناس هوناً، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضى أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما تيسر من اللباس، ويجلس كيف ما تم له الجلوس، ويمتزج مع من يلتقي من البشر دون أن يأخذه شيء من كبر، أو تداخله بقية من عجب، أو تساوره نظرة من استعلاء"(١).

هذا؛ ويلزم على الفرد والمجتمع الإسلامي المؤمن التحلّي بخلق التواضع، فهو استجابة لأمر الله عز وجل، وطاعة له الله عز وجل ، فقد ثبت في الحديث الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: (**وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا**)(٢). وهو خطاب عام لكل عباد الله المؤمنين، وفي الحديث أمر صريح بالتواضع (٣). وفي التيسير بشرح الجامع الصغير: "إن الله أوحي إليَّ" وهي إرسال، (أن) أي بأن (تواضعوا) بخفض الجناح ولين الجانب"(٤).

وقد خاطب الله سيد المؤمنين وقائدهم قائلاً له: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨ ﴾ [الحجر: ٨٨]، يقول الطبري في معنى الآية: "يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وألِنْ لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقربهم منك، ولا تجف عنهم، ولا تغلظ عليهم، يأمره الله عز وجل ذكره بالرفق بالمؤمنين"(٥). ويقول القرطبي: "واخفض جناحك للمؤمنين"،

---

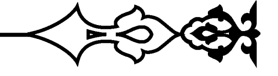
(١) علوان، عبد الله ناصح: أخلاق الداعية. دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩١م، ج١، ص٢٣٠.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٣٨٩)، مرجع سابق.

(٣)ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق: عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت، ج١٠، ص ٤٩١.

(٤)المناوي، نرين الدين: فيض القدير شرح الجامع الصغير. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٤١٥ هـ، ج١، ص ٤٩٩.

(٥)الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية. دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م، ج١٧، ص ١٤٢.



أي: ألن جانبك لمن آمن بك، وتواضع له، وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفاً لتقريب الإنسان أتباعه، ويقال: فلان خافض الجناح، أي: وقور ساكن. والجناحان من ابن آدم: جانباه"[1]. وعليه، فالفرد المسلم يمتّل خلق التواضع في حياته العلمية طاعة لله الله عز وجل الذي أمر به عبادة عامة، ورسوله صلى الله عليه وسلم خاصة.

ويؤتي التواضع ثماره وفوائده، من ذلك أن الذي يتخلق بهذا الخلق العظيم فإنه يتقبل الحق من أي مصدر كان، ويتعلم من هذا ومن ذاك، ويبتعد عن احتقار الناس والبغي عليهم؛ لأن المتواضع لا يصدر منه ذلك، لقوله: (**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**) [2]، فتواضع الفرد المؤمن فيه إحقاق الحق، وفيه احترام الخلق، وفيه اقتراب من الحق الله عز وجل، وفيه معرفة لقدر الآخرين، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى نجاح المهمة العلمية، ومن ثم نجاح المجتمع بأسره.

ويظهر تواضع الفرد الشاب حينما لا ينظر إلى نفسه على أنه ندّ لهذا العالم أو ذاك الداعية الكبير، ويقول هم رجال ونحن رجال، بل عليه أن ينزل الناس منازلهم. ويظهر كذلك تواضعه حينما يتواضع مع أقرانه، ويبتعد عن حسدهم وعن الفخر عليهم، كما أنه لا يحقر من هم دونه في السن أو القدر بل يتواضع مع الجميع، ويحترم جهودهم العلمية والحياتية وغيرها، ولا يزدريهم أو يزدري أيّ جهد عملي ديني يقومون به، كما أنه لا يفخم جهده هو أو عمله ويستكثره ويتظاهر به[3].

---

(١) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان، ج١٠، ص٥٧، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: (٧٣٨٩)، مرجع سابق.

(٣) العودة، سلمان بن فهد: من أخلاق الداعية، سلسلة نحو ترشيد الصحوة، ص ٢٢-٢٧، مرجع سابق.

العنصر الثاني: قيمة الكرم:

قال ابن فارس في معنى الكرم لغة: "كرم: الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهم: شرف في الشيء نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق، يقال: رجل كريم، وكرم السحاب: أتى بالغيث"(١). وكرم فلان: أعطى بسهولة وجاد، فهو كريم، والجمع: كرام وكرماء(٢). والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه، ومنه: وجه كريم، وكتاب كريم(٣). فكل شيء شريف في بابه فإنه يوصف بالكرم، كما في قوله الله عز وجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الدخان: ٢٦] ، وقوله الله عز وجل : ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الإسراء: ٢٣](٤)

وقال الزجاجي: الكريم، الجواد، والكريم: العزيز، والكريم، الصفوح: هذه ثلاثة أوجه للكريم في لغة العرب(٥).

وأما في مفهومه الاصطلاحي: فقد عرفه مسكويه، بقوله: "أما الكرم، فهو: إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع كما ينبغي"(٦). وقال الراغب الأصفهاني: "الكرم، إذا وصف الله عز وجل به فهو اسم لإحسانه، وإنعامه المتظاهر، نحو

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص ٩٢٣، مرجع سابق.

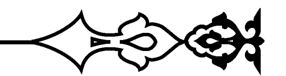
(٢) إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٧٨٤، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٨٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت. ص ٧٠٧.

(٥) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: إعلاب القرآن. تحقيق: إبراهيم الإبياري. دار الكتب الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، صنة ١٤٠٤هـ، ص ١٧٦

(٦)ابن مسكويه، أحمد بن يعقوب: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ٢٠١٠م ، ص ١٩.



قوله الله عز وجل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ ﴾ [النمل: ٤٠]، وإذا وصف به الإنسان، فهو: اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه. ولا يقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه"[١]. وقال النووي: "وأصل الكرم: كثرة الخير"[٢]. ووضح الأسمر مفهوم الكرم بقوله: "كرم إنسان ما، يعني: أنه أعطى بسخاء، وجاد بالعطاء مما يملك لأي محتاج من الناس، عن طيب خاطر، ورضاء نفس، وإخلاص وجدان، دونما مَنّ، ولا أذى، سواء أبذل لذلك ماله أو جاهه وسلطانه إلى الآخرين، بقصد إعانتهم، ومساندتهم، ومساعدتهم في مواجهة وقائع حياتهم التي لا يمكنهم مواجهتها ذاتيًا، فمن فعل ذلك فهو كريم"[٣].



ويمكن الخروج بخلاصة حول معنى خلق الكرم المراد بالدراسة هنا، بالقول بأنه: "بذل المال والجود بالخيرات والسخاء بالعطاء، عن طيب نفس، بقصد المساعدة والإحسان"[٤].

وتكمن هذه القيمة علميًّا وعمليًّا في أن يتيقن الفرد بأن الله عز وجل سيحفظه فيما يكون فيه كريماً معطاءً منفقاً، وهذه عقيدة ضرورية للفرد والمجتمع؛ حتى لا تتسرب إليه آفات الشحّ والتخويف من نقص المال، ويقيناً منه، وتصديقاً بقوله الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص ٧٠٨، مرجع سابق.

(٢) النووي، يحيى بن شرف بن مري: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ، ج ١٥، ص ١٣٤.

(٣)الأسمر، أحمد رجب: مكارم الأخلاق في الإسلام. دار الفرقان، عمان، الأردن، ط ١، صنة ٢٠٠٨م ، ص ٢٤٥.

(٤)خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي. دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، سنة ٢٠١٣م ، ص ١٥١.

شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ [سبأ: ٣٩]، وبقوله: **(ما نقص مال عبد صدقة)**[١]. وبقول الله عز وجل في الحديث القدسي: **(يا ابن آدم أنفق، أنفق عليك)**[٢]. فهذا اليقين بموعود الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بات حاجة ملحة في عصر الطغيان المادي وضعف الإيمان، كما أنه يشكل دافعاً رئيساً لتخلق طالب العلم والعالم والمتعلم بهذه الفضيلة، فلا يحيد عن الحق ولا عن العلم لأي سبب، بل يكون كريما في علمه معطاءً فيه لا يخشى الفاقة أبدا.

وخلق الكرم يدفع الفرد والمجتمع إلى الاستغناء عن دنيا الناس، واللهاث وراء حاجاتهم المادية الخاصة بهم، فهو يترفع عن السؤال، والتسوّل على حساب الفقر، وإذا ما استؤمِنَ على مال أو مواد، فلا يمدّ يده إليها، أو ينتقي لنفسه الأحسن منها، متذرعاً بتأويلات شتى. فليكن شعاره دائماً، العطاء لا الاستجداء، والبذل لا الأخذ، والترفع لا التنزل، وبذلك يثق الناس ويقتنع كثير منهم، بأن الذي أمامهم هو فرد مسلم تربى في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العنصر الثالث: قيمة الأمانة:

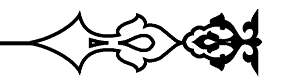
الأمانة لغة؛ مأخوذة من الأمن وهو ضد الخوف؛ لأن الأمانة توضع في الأصل عند أمين، والأمين ثقة لا يخون، والأمانة خلاف الخيانة ومعناها سكون القلب والتصديق للمؤتمن عليها[٣]. وقد عرفها "الراغب الأصفهاني" فقال: "الأصل الاشتقاقي للأمانة، الفعل الثلاثي أَمِنَ -الهمزة والميم والنون- وأصل الأمن، طمأنينة النفس وسكونها بزوال

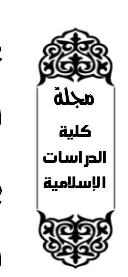
---

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب مثل الدنيا، حديث رقم: (٢٣٢٥)، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب الحث على النفقة، حديث رقم: (٢٣٥٥)، مرجع سابق.

(٣) انظر: ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ١٣٣، مرجع سابق.





الخوف، وهي مصدر تعني الأمان، وهو اسم للحالة التي يكون عليها الإنسان من الأمن، وأحيانًا تكون اسمًا لما يؤتمن عليه الإنسان"[1]. وعرّفها "السمين الحلبي" فقال: "الأمن ضد الخوف، والأمن والأمان والأمانة في الأصل هي مصادر، وجعل الأمانة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان من الطمأنينة والهدوء والراحة والسكينة، وتارة لما يؤتمن عليه الإنسان"[2]. أما "ابن منظور"؛ فقال: "الأمانة مشتقة من أَمِنَ، وهي تعني الأمان، والأمانة بمعنى آمنت فأنا آمن وآمنت غيري من الأمن، والأمان الذي هو ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة"[3].

أما الأمانة في الاصطلاح؛ فهي "رعاية حقوق الله عز وجل بتأدية المرء للفرائض والواجبات، وكذلك المحافظة على حقوق العباد فلا يطمع الإنسان في وديعة أؤتمن عليها ولا ينكر مالًا أو متاعًا أمّنه الناس عليه"[4]. وجاء معنى الأمانة بأنها خلق في النفس، يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت ظروف العدوان عليه، ويرجع ما لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، وهي على هذا الأساس تشتمل على ثلاثة عناصر:

أ- عفة الأمين عما ليس لديه حق في أخذه من الآخرين.

---

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص ٩٠، مرجع سابق.

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت. ص ٢٦.

(٣)ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط ١، د. ت ، ج١، ص ١٤٠.

(٤) الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن الكريم. دار الرائد العربية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٩م، ج ٢، ص ١٥.

ب- تأدية الأمين ما يجب عليه من حقوق لأصحابها.

ج- اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه من حقوق وعدم التفريط بها[1].

وما من شك أن الفرد المسلم والمجتمع الإيماني هو الأَوْلَى بأنْ يتخلق بخلق الأمانة، وتظهر فيه كل معانيها؛ لأن الفرد المسلم والمجتمع الإيماني يمثل صورة للإسلام، فهو نظر الناس، وموقع قدوة بالنسبة لهم؛ لذا عليه أن يتصف بخلق الأمانة، **"**ليكون في الناس محل ثقة، ومثار إعجاب، وموضع تقدير ومحبة**"**[2].

يستلزم المسلم القيام بخلق الأمانة، انطلاقاً من كون الله عز وجل قد أناط في عنقه حمل أمانة التكليف، ومن كونه الله عز وجل أمره أمراً يفيد الوجوب، بأداء الأمانة كما في الآيتين الكريمتين: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقوله الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ **النساء**: ٥٨، لذا على الفرد المسلم أن يكون منطلقه الأساس في القيام بأمر الأمانة هو استجابته لله الله عز وجل وطاعته لأمره الله عز وجل.

يتخلّق المسلم بخلق أمانة التحدث، بمعنى **"**أن يلتزم الداعية الدقة والأمانة والصدق بكل خبر يرويه، أو حديث يمليه، أو سؤال يوجه إليه، لما روى البخاري في **"**الأدب المفرد**"** عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: (**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب**)[3]. فلا يجوز للمسلم أن يخون أي جانب من جوانب الرواية، ونقل الأخبار،

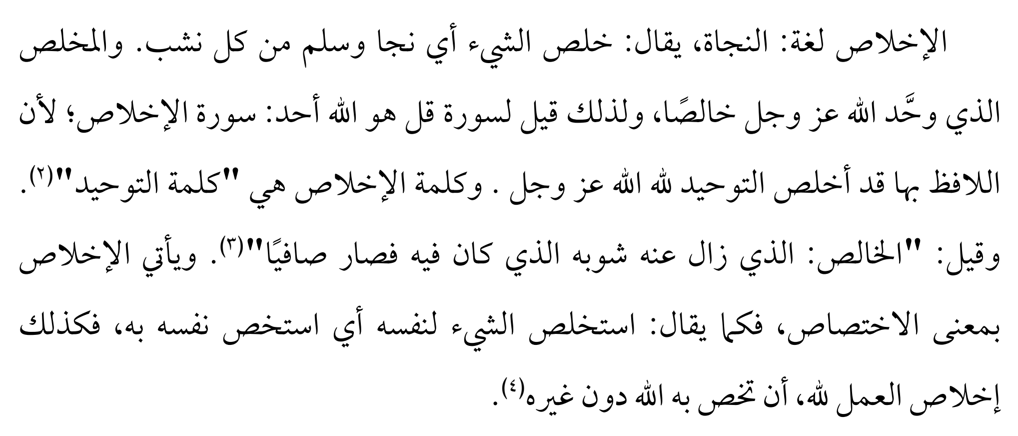
(١) انظر: فرعوش، كايد، خالد القضاة وآخرون: الأخلاق في الإسلام. دار المنهاج، عمان، الأردن، ط١، سنة ١٩٩٩م، ص ١٢٢.

(٢) علوان، عبد الله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٦، مرجع سابق.

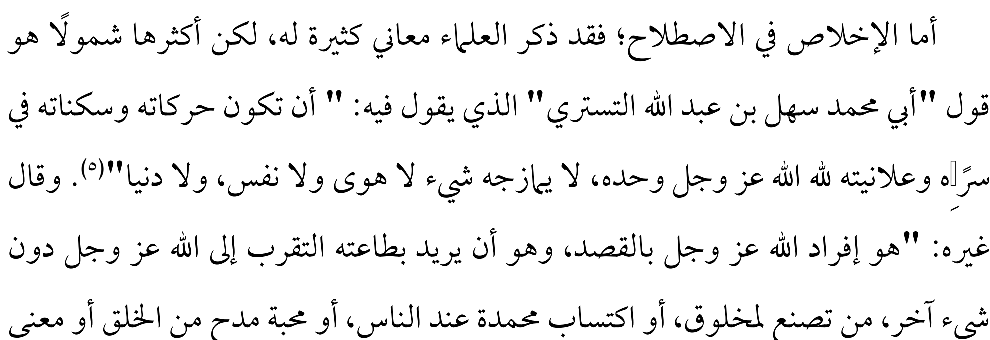
(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد. تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م، حديث رقم: (٣٩٢).

والتحدث إلى الناس. وإذا اشتهر الفرد بين الناس بالكذب، يسقط اعتباره، وتذهب مهابته(١).

العنصر الرابع: قيمة الإخلاص:



الإخلاص لغة: النجاة، يقال: خلص الشيء أي نجا وسلم من كل نشب. والمخلص الذي وحَّد الله عز وجل خالصًا، ولذلك قيل لسورة قل هو الله أحد: سورة الإخلاص؛ لأن اللافظ بها قد أخلص التوحيد لله الله عز وجل . وكلمة الإخلاص هي "كلمة التوحيد"(٢). وقيل: "الخالص: الذي زال عنه شوبه الذي كان فيه فصار صافيًا"(٣). ويأتي الإخلاص بمعنى الاختصاص، فكما يقال: استخلص الشيء لنفسه أي استخص نفسه به، فكذلك إخلاص العمل لله، أن تخص به الله دون غيره(٤).



أما الإخلاص في الاصطلاح؛ فقد ذكر العلماء معاني كثيرة له، لكن أكثرها شمولًا هو قول "أبي محمد سهل بن عبد الله التستري" الذي يقول فيه: " أن تكون حركاته وسكناته في سرِّه وعلانيته لله الله عز وجل وحده، لا يمازجه شيء لا هوى ولا نفس، ولا دنيا"(٥). وقال غيره: "هو إفراد الله عز وجل بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله عز وجل دون شيء آخر، من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى

---

(١) علوان، عبد الله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٧، مرجع سابق.

(٢) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ج ٧، ص ٢٦، مرجع سابق.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية، بيروت، لبنان، د. ط. ١٣٨٥هـ، ج ٩، ص ٢٧٢.

(٤) انظر: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٠١، مرجع سابق.

(٥) النووي، يحيي بن شرف: المجموع شرح المهذب. مكتبة التضامن الأخوي، القاهرة، مصر، د. ط. د. ت. ج ١، ص ١٧.

آخر سوى التقرب إلى الله الله عز وجل "[1].

ويعني الإخلاص في العمل أن يقصد الفرد وجه الله عز وجل في جميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة مما توافق الشرع، ولا يشرك في ذلك مع الله شيئاً من أمور الدنيا وحظوظ النفس. وهذا يعني أن تكون جميع أعماله خالصة لله الله عز وجل ، يقصد بها طاعة الله عز وجل والقربة إليه والنصرة لدينه. هذا ويلزم على يستذكر المسلم أثناء حياته العملية والعلمية سيرة عباد الله المخلصين ومواقفهم الصادقة، ابتداء من أنبياء الله عز وجل ورسله حيث وصفهم الله عز وجل بالمخلصين، إلى أتباعهم من العلماء والدعاة والأئمة والمجاهدين والمنفقين في سبيل الله الله عز وجل ، حيث كانوا جميعاً يتحرون أن يكون عملهم وقولهم خالصاً لله الله عز وجل ، يقول الطبري في حق أولئك المخلصين الذي قال الله عنهم: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ الإنسان: ٨ – ٩، أي "إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون طلب رضا الله، والقربة إليه، لا نريد منكم أيها الناس على إطعامنا لكم ثواباً ولا شكوراً"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم في حق من يهاجر ويقطع المسافات ويترك بلاده طلباً وسعياً لمرضاة الله: (**فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله**)[3]، وقال في حق أصحاب النيات الخالصة ولو لم يتمكنوا من تحقيق العمل الذي أرادوه: (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغة الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**)[4].

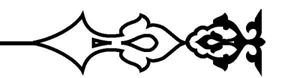
---

(١)الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين. دار الشعب، القاهرة، مصر، ط ١، د. ت ، ج ٥، ص ٣٧٩.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ح١٢، ص ٩٤، مرجع سابق.

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب إنما الأعمال بالنية، حديث رقم: (٥٠٣٦)، مرجع سابق.

(٤) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب استحباب طلب الشهادة، حديث رقم: (٥٠٣٩)، مرجع سابق.





العنصر الخامس: قيمة الصبر:

الصبر لغة: "الحبس والمنع، وهو ضدّ الجزع، ويقال: صبر صبرًا: تجلَّد ولم يجزع، وصبر: انتظر، وصبّر نفسه: حبسها وضبطها، وصبر فلانًا: حبسه، وصبرت صبرًا: حبست النفس عن الجزع، وسُمّي الصوم صبرًا لما فيه من حبس النفس عن الطعام، والشراب، والنكاح"(١). فتبين بذلك أن الصبر هو: "منع وحبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكّي، والجوارح عن التشْويش: كلطم الخدود، وشقّ الجيوب ونحوهما"(٢).

والصبر في الاصطلاح؛ هو "خُلُقٌ فاضل من أخلاق النفس يمنع صاحبه من فعل ما لا يَحْسُنُ، ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها، وقوام أمرها"(٣). وهذه القوة "تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب، والمشاق،

---

(١) ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي. دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ، ج ٣، ص ٧. وانظر: الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٣٣١؛ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. دار الرسالة، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت. ص٥٤٠.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٢٧. وانظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٩٧٣م، ج ٢، ص ١٥٦؛ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: طريق الهجرتين وباب السعادتين. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٢، سنة ١٩٩٤م، ص ٤٣٧.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص٢٩، مرجع سابق.

والآلام"[1].

والصبر عند الداعية كما يرى أحد الباحثين هو "ضبط النفس على الاستمرار في طريق الدعوة مهما لاقت، وحبسها عن الإساءة للمدعوين قولاً وفعلاً. والصبر يعني: عدم الانتقام حين الأذى، وعدم الانقطاع عن الدعوة حين الملل، وعدم اليأس حين الفشل. وبعبارة أخرى: عدم الاستجابة لردود فعل النفس، والتسرع في التصرف حيال المواقف"[2].

ويرى غيره من الباحثين أن الصبر في الدعوة: "هو الخلق الذي يحتاجه الداعية حتى تنفتح له مغاليق القلوب: الصبر على التبليغ، والصبر على الجدال الذي سيواجه، والرفض والعناد، والصبر على الأذى الذي قد يلحق به"[3]. فخلق الصبر في الدعوة إلى الله عز وجل خصوصًا، وفي الحياة العملية والعلمية عمومًا يتركز حول حبس النفس عن ردود الفعل السلبية في ميدان الدعوة، وثباتها على الاستقرار في الدعوة والقيام بمهام التبليغ رغم ما قد يعتريه من عقبات.

وقد كلف الله المؤمنين بالصبر وأرشدهم إلى التخلق بخلق الصبر باعتبارهم حملة للدين، فجاء في القرآن الكريم الأمر العام والكلّي بالصبر جملة على تكاليف الدعوة، فقال الله عز وجل آمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ الأحقاف: ٣٥، يقول السعدي: "أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لا يزال داعياً لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر

---

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) العرعور، عدنان بن محمد: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة. دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ٢٠٠٣م، ص ٦١.

(٣) المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية. دار الهدى، عمان، الأردن، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ص١٢٩.



أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزم والهمم العالية، الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، فامتثل لأمر ربه الله عز وجل ، فصبر صبراً لم يصبره نبي قبله، حتى رماه المعادون له عن قوس واحدة، وقاموا جميعاً بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يمكنهم من المعاداة والمحاربة، وهو لم يزل صادعاً بأمر الله، مقيماً على جهاد أعداء الله، صابراً على ما يناله من الأذى، حتى مكّن الله له في الأرض، وأظهر دينه على سائر الأديان، وأمته على الأمم"(١).

هذا ويقتدي المسلم في صبره على مشاق نصرة الدين في قوله وفعله بأنبياء الله عز وجل ، فهم أسياد الدعاة إلى الله، وقد كان "من أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: تحمل أذية أقوامهم فقالوا: عنهم: سفهاء، وقالوا: شعراء، وقالوا: إنهم أهل جنون، ومع ذلك كان الأنبياء أرحب الناس صدراً وأكثر الناس تحمّلاً. وهكذا الداعي عليه أن يتحمل أذية السفهاء حتى ينال الأجر من الله، ويرجو بذلك هدايتهم ودخولهم في دعوة الخير"(٢).

والنص القرآني واضح في ذلك، حيث يقول ربنا الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ الأنعام: ٣٤

ونبينا هو قدوتنا الأولى في الصبر على مشاق الدعوة، وهو سيد الصابرين من الدعاة وغيرهم، فهو "صبر على الخنق، خنقوه بثوب، وصبر على إلقاء سلى الجزور فوق ظهره وهو ساجد عند الكعبة، وعلى وضع الشوك في طريقه، وضرب قدميه بالحجر، وعلى الاتهامات الباطلة التي اتهموه بها، وقالوا عنه: ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون، وبه جنّه– مسّه الجنّ–

---

(١)السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٦م ، ص ٧٨٣.

(٢) العباد، عبد المحسن بن حمد: من أخلاق الأنبياء. دار الرشد، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٩م، ص ١١٢.

قال عبد الله بن مسعود: "كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: (**اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)[1]. قال بعض الشراح: "إنه يعني نفسه، هو الذي ضربه قومه فأدموه"[2]. وذلك الاقتداء ضرورة ولا مفرّ منه؛ لأن ابتلاء الدعاة من الأنبياء وغيرهم هو سنة لا مفر منها.

وتتطلب طبيعة نصرة الدين والحياة العلمية والعملية والدعوية الاختلاط بالناس وبالمجتمعات وبالأجناس المختلفة، وهذا يعني أن المسلم يواجه نفوساً متنوعة وأمزجة متفاوتة وطبائع متغايرة، يصدر عنها ردود أفعال مختلفة حيال دعوته إليها، لذا لا بد له من خلق الصبر والتحمل، استجابة لقول الله عز وجل:" وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا "[المزمل: ١٠]، وأخذاً بتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي يقول: (**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**)[3]. ويزاد المسلم تمسكاً بخلق الصبر، وجعله واقعاً في حياته، حينما يقرأ حديث النبي والذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم : (**ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم**)[4].

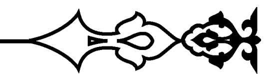
---

(١)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ ، حديث رقم: (٣٢١٨).

(٢) المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية، ص ٢٠، مرجع سابق.

(٣)ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٦م ، كتاب الفتن، حديث رقم: (٤٠٣٢)، حديث صحيح.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب الصبر على الأذى، حديث رقم: (٥٦٣٤)، مرجع سابق.





العنصر السادس: قيمة العدل:

تأتي مادة عَدَل في اللغة على معنيين متضادِّين؛ أحدهما الاستواء، والآخر الاعوجاج. والعدل يرجع إلى المعنى الأول[1]، وهو خلاف الجور، وهو ما قام في النفس أنه مستقيم[2]. وقيل: لفظ يقتضي معنى المساواة. ومرادفاته: العدالة والعدولة والمَعدَلة[3].

وأما العدل في الاصطلاح؛ فهو "إعطاء كل ذي حق حقه من غير إفراط أو تفريط"[4]. وقيل: "بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم، وقيل: فصل الحكومة على ما في الكتاب والسنة لا بالرأي المجرَّد"[5]، والأول أولى لشموله.

ويسعى المسلم إلى أن يمتثّل خلق العدل واقعاً عملياً في حياته، لكونه قدوة للناس، ولكونه أيضاً مأموراً كغيره من المؤمنين بإقامة العدل، وأسوته في ذلك أنبياء الله عليهم السلام، فقد أمرهم الله عز وجل بإقامة العدل فمثلاً، قال الله عز وجل في حق نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ المائدة: ٤٨، ولا شك أن للداعية حظاً من هذه الآيات، إذ قدوته في طريق الدين والالتزام هم الأنبياء عليهم

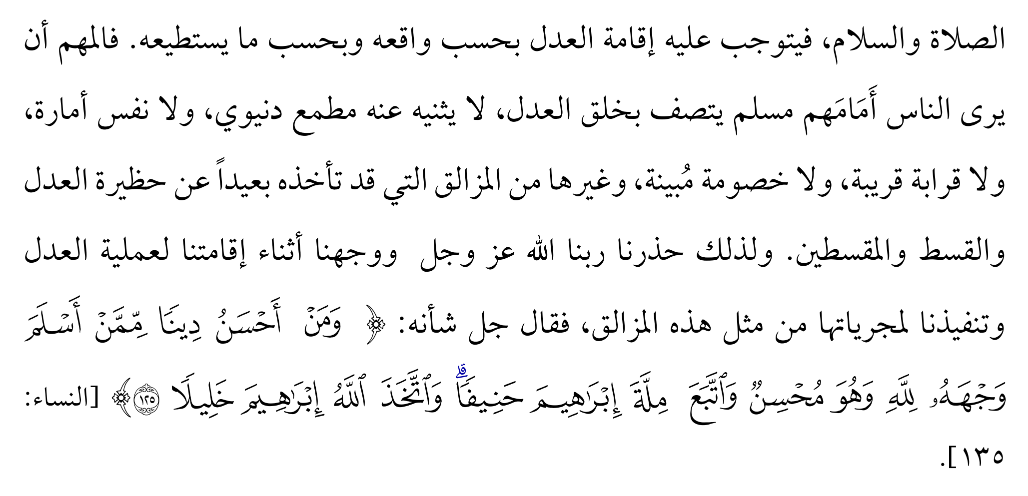
(١) انظر: ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٢٤٦، مرجع سابق.

(٢) انظر: ابن حميد، صالح، وابن ملوح: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، ج ٧، ص ٢٧٩٠، مرجع سابق.

(٣) انظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص٣٢٥، مرجع سابق.

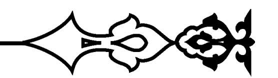
(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ، ص ١٩١.

(٥) ابن حميد، صالح، وابن ملوح: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، ج ٧، ص ٢٧٩٢، مرجع سابق.


الصلاة والسلام، فيتوجب عليه إقامة العدل بحسب واقعه وبحسب ما يستطيعه. فالمهم أن يرى الناس أَمَامَهم مسلم يتصف بخلق العدل، لا يثنيه عنه مطمع دنيوي، ولا نفس أمارة، ولا قرابة قريبة، ولا خصومة مُبينة، وغيرها من المزالق التي قد تأخذه بعيداً عن حظيرة العدل والقسط والمقسطين. ولذلك حذرنا ربنا الله عز وجل ووجهنا أثناء إقامتنا لعملية العدل وتنفيذنا لمجرياتها من مثل هذه المزالق، فقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ [النساء: ١٣٥].



هذا ويحذر على المسلم من الخلط في بعض المواضع بين مفهومي العدل والمساواة. فعلى سبيل المثال، حينما يتحدث الفرد عن حقوق المرأة، يقول بأن الإسلام جاء بالمساواة بين الرجل والمرأة، وهذا الكلام على ظاهرة غير دقيق؛ لأن الإسلام جاء بالعدل بين الرجل والمرأة، وإلا فالمساواة بينهما في كل الأمور مخالفة للشرع وللعقل وللحسّ. وكذلك يقع الخطأ أحياناً من بعض الناس حينما يتبنّون عبارة من مثل: الإسلام ساوى بين الناس جميعاً في كل شيء، أو ما يقاربها، فهذا أيضاً من المنزلقات التي يجب أن يحرص المسلمون على عدم الانجرار خلفها، يقول "حبنكة": "يمكر بعض الماكرين، ويتسرع بعض المنخدعين، فينادون بالمساواة العامة بين الناس جميعاً في كل أمور الحياة، ويرون أن ذلك من العدل. وهذا خطأ فادح، يؤدي إلى تحقيق أنواع وصور شنيعة من الظلم، تحت شعار العدل، وذلك لأن حقوق الناس في الأصل غير متساوية، فكيف تكون المساواة بينهم في العدل، مع تفاوتهم في الحقوق كيف يكون من العدل التسوية بين المحسن والمسيء؟ كيف يكون من العدل التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ إن ميزان العدل يزن قيم الأشياء وقيم الأعمال بالاستناد إلى قواعد الحق. والشريعة الإسلامية وضعت لنا المقاييس التي نقيس بها ونزن قيم



الأشياء والأعمال"[1]. والمسلم هو أولى الناس بالوعي بمثل هذه الطروحات، وبتقديم العدل بصورته الإسلامية.



كما يلزم على المسلم اتقاء الله في كل أحواله، وخاصة حينما يريد أن يقدم نقداً ما لكتاب أو لرؤية أو لعمل مما له صلة بالدعوات والحركات الإسلامية، فيعدل في ذلك، استجابةً لأمر الله عز وجل بإقامة العدل، وبأن يكون شهيداً لله الله عز وجل بالقسط، وإلا فقدت دعوته معناها، وفقد خطابه مصداقيته، وضاع أجره وضعف أثره.

العنصر السابع: الصّدق:

قال ابن فارس: "صدق: الصاد والدال والقاف، أصل يدل على قوة في الشيء: قولًا وغيره، من ذلك: الصدق: خلاف الكذب، سمّي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل، وأصلها من قولهم: شيء صدق، أي: صلب"[2]. وفي المعجم الوسيط: صدق فلان في الحديث، بمعنى: أخبر بالواقع[3].

وفي مفردات ألفاظ القرآن، قال الراغب: "الصدق والكذب أصلهما في القول: ماضيًا كان أو مستقبلا، وَعْدًا كان أو غيره، ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول، ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام، ولذلك قوله الله عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢٢][4].

وأضاف الراغب: "والصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معًا، ومتى انخزم شرط من

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٦٢٣-٦٢٤، مرجع سابق.

(٢) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص ٥٨٨، مرجع سابق.

(٣) مجمع الله العربية، المجعم الوسيط، ص ٥١٠

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص ٤٨٧، مرجع سابق.

ذلك لم يكن صدقًا تامًا، بل إما أن لا يوصف بالصدق، وإما أن يوصف تارة بالصدق، وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن هذا يصح أن يقال: صدق، لكون المُخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثاني، إكذاب الله عز وجل المنافقين حيث قالوا: ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (المنافقون: ١)[١].

ويوضح أحد الباحثين هذا الأمر المهم ويزيل اللبس فيه، من خلال تفريقه "بين الكلام والمتكلم؛ فإذا تحدث الإنسان بخبر ما وكان كلامه الذي قاله مطابقًا بما يعتقده في الموضوع الذي تحدث به ومخالفًا للواقع فإنه منسجم مع نفسه، وهو في حديثه صادق غير كاذب، إلا أن كلامه هو بحدّ ذاته كذب، لأنه مخالف للواقع وللحقيقة"[٢]. والعكس تمامًا وعليه، "ينحل الإشكال حين نفرق في الوصف بين الكلام والمتكلم، فنصف كلًا منهما بما يناسب واقع الحال، فالكلام الصدق، هو ما كان مطابقًا للواقع والحقيقة، والمتكلم الصادق هو المخبر بما يطابق اعتقاده"[٣].

وقد وردت تعريفات مختلفة للصدق، من ذلك: ما أورده ابن أبي الدنيا بأنه: "الإخبار عن الشيء على ما عليه"[٤]. وعَرّفه ابن القيم بقوله: "الصدق هو حصول الشيء وتمامه، وكَمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة، إذا كانت قوية تامة، وكذلك محبة

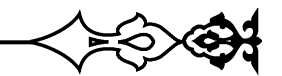
---

(١) المرجع السابق، ص ٤٧٨-٤٧٩

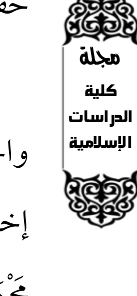
(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٥٢٦-٥٢٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٢٧.

(٤) الماوردي، محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين. دار المصطفى، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩١م، ص ١٩١.



صادقة، وإرادة صادقة"[١]. وعرفه عدد من المؤلفين المعاصرين، بأنه: مطابقة الكلام للواقع وللحقيقة[٢]. ويرى ابن تيمية أن الصدق يقوم على أساس معرفة الحق والعلم به، ومن ثم فهو يشمل الحق والصدق والعدل، كما يشمل قبح الظلم والكذب، ولهذا يسمى الصدق حقًا[٣].



ولا ريب أن المسلم الصادق هو الذي يظهر الصدق بكل أقسامه في واقعه الشخصي والحياتي، فيلزمه أن يكون صادقاً في نيته ومقصده، وهذا الصدق في النية والقصد "يستلزم إخلاص النية لله الله عز وجل في الدعوة، وفي كل طاعة وقربة، فلا يدعو لطلب جاه ولا مَحْمَده ولا وجاهة، ومتى حصل الصدق في القصد أثمر ذلك عزيمة صادقة وإرادة ماضية، فلا يتوانى الداعية الصادق عن المضي في إيصال الحق والخير للناس، يبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة"[٤].

فيلزم على المسلم أن يكون صادقاً في أقواله، فلا يقول الكذب أو ينقل الشائعات أو يكون أقل الناس تثبتاً من الروايات والأخبار التي يسمعها، ومن ثم يتسرّع ببثّها بين أبناء المجتمع أو المحيط به. كما يلزمه الصدق في أعماله، فَيظْهَر للناس، أن هذا المسلم يفعل ما يقول، ويطبق في حياته ما يدعوهم إليه. فإن وعظهم في بر الوالدين، رأى منه أهل بيته

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،ج٢، ص ٢٠٧، مرجع سابق.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٥٢٦، مرجع سابق؛ مكروم، عبد الودود: الأصول التربوية لبناء الشصخية المسلمة. دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط ١، سنة ١٩٩٦م ، ص ٢٦٢.

(٣) عفيفي، النظرية الخلقية عن ابن تيمية، ص ٤٧٦

(٤) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ٤٣، مرجع سابق.

وسكان منطقته بره بوالديه وإحسانه إليهما. وإن حذّر طلابه من خيانة الأمانة، رآه تلامذته أحرص الناس على وقت الدرس وشرح مضمونه، وهكذا حتى "يكون الصدق في الأقوال والأعمال منهجه وشعاره، وأن يكون منسجماً مع نفسه"(١)، والمسلم الصادق، يظهر أثر صدقه في وجهه وصوته(٢).



وإن تخلّق المسلم بخلق الصدق، يرفع درجته على الناس عند الله عز وجل ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ، أي الناس أفضل؟ فقال: **(كل مخموم القلب (التقي النقي)، صدوق اللسان)**(٣). ومن هنا كان على المسلم أن يحرص كل الحرص على التخلق بخلق الصدق رجاء أن يرفع الله منزلته، وأن يؤثر إيجاباً في دعوته، ولعل مما يؤدي إلى ذلك، أن يسأل المسلم ربه الله عز وجل بأن يهبه خلق الصدق، وأن يجعله من الصادقين. ولنا جميعاً في ذلك القدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي علمه ربه الله عز وجل دعاء الصدق: طلباً وسؤالاً ورداء، يقول ابن القيم: "وقد أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقال الله عز وجل : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠ ﴾[الإسراء: ٨٠]، فمدخل الصدق ومخرج الصدق: أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً بالله وفي مرضاته"(٤). وأما لسان الصدق فهو الثناء الحسن، وأما قدم الصدق، فهو العمل الصالح، وأما مقعد الصدق،

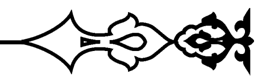
---

(١) العودة، سلمان بن فهد: من أخلاق الداعية، سلسلة نحو ترشيد الصحوة، ص ١٢، مرجع سابق.

(٢) زيدان، عبد الكريم: أصول الدعوة، ص ٣٩٢، مرجع سابق.

(٣)الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة. مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط. ١٤١٥هـ، حديث رقم: (٩٤٨).

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص ٢٠٠، مرجع سابق.



فهو الجنة[١].

العنصر الثامن: قيمة الرحمة:

يُعدّ خلق الرحمة في الإسلام– ومثله خلق الصبر– من أوسع الأخلاق الإسلامية بابًا ومن أشملها مجالًا، ومن أكثرها فروعًا، ولعل هذا راجع إلى كون الرحمة أحد القيم الأعمدة التي بها قوام هذا الدين[٢].



ورغم شدة وضوح معنى الرحمة في نفس الإنسان وإدراك عقله المراد بها وشعور حواسه بدلالاتها واقعًا عمليًا في الحياة، إلا إنه ثمة صعوبة في وضع تعريف علمي دقيق محدد لها، وهذا ما أكده بعض المؤلفين في مجال الأخلاق الإسلامية، فمثلًا، يقول حبنكة: "قد يكون من العسير التوصل إلى تعريف دقيق للرحمة"[٣]، ويحاول تعليل ذلك بأن "شأن الرحمة كشأن معظم العواطف والانفعالات، إنما تدرك وتعرف بظواهرها، لا بحقيقة تكوينها"[٤]. ولكن هذا الاستشعار ليس معناه العجز، لذلك قال حبنكة بعد هذه الإشارة: "ولكن باستطاعتنا أن نقرب للتصور فهم حقيقة الرحمة، وذلك بأن نقول: الرحمة: رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود الألم عند شخص آخر؛ أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر. فهي مشاركة الكائن الحي لغيره في مثل آلامه ومسراته، والشعور بمثل مشاعره، ولا يشترط التساوي في المقدار، وإنما يكفي فيها المشاركة العامة في الألم والمسرة"[٥].

(١) المرجع السابق، ج٢، ص ٢٠٢.

(٢) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٣٨، مرجع سابق.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٥، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق، ص ٥.

(٥) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٥، مرجع سابق.

وفي مفردات ألفاظ القرآن، يقول الأصفهاني: "والرحمة: رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد من الرقة، نحو: رحم الله فلانًا. وإذا وصف به الباري، فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي، أن الرحمة من الله: إنعام وإفضال، ومن الأدميين: رقة وتعطف"(1). ويقول بعض المؤلفين في توضيح معنى الرحمة: "فالرحمة كخلق من أخلاق الإسلام تعنى بـ: العطف، والشفقة، والحنان، والمودة، واللين، والرأفة"(2).



ويقول حبنكة: "من الأصول الخلقية وكلياتها العامة: خلق الرحمة، ولهذا الأصل فروع أخلاقية متعددة، منها: بر الوالدين، ومنها العطف على الفقراء والضعفاء وذوي المصائب، ومنها: التعاطف بين الإخوان والجيران، ومنها: لين الجانب للناس، إلى غير ذلك"(3).

وقد وردت مادة "رحمة" بصورها ومشتقاتها المتعددة في القرآن الكريم حوالي (٣٢٣) مرة وقد تضمنت مفاهيم متعددة منها: رحمة الله عز وجل ، ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الرحمة بالوالدين، والأرحام، وعن الرحمة بالمؤمنين، إلى غير ذلك من ألوان الرحمة المذكورة في القرآن"(4).

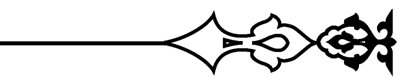
ويرى خطاطبة أنه للوصول إلى تعريف شرعي للرحمة باعتبارها مفهومًا إسلاميًا، وقيمة من قيمة، وخلقًا من أخلاقه، لا بد من تقديم تعريف لها يتصف بالتقييد أو بالتفصيل أو بالنسبة، وذلك لأنه مفهوم مشترك ووصف متقاسم بين الخالق والمخلوق، كما هو في النصوص الشرعية، فيكون التعريف كالتالي:

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص ٣٩١، مرجع سابق.

(٢) مكروم، عبد الودود: الأصول التربوية لبناء الشصخية المسلمة، ص ٢٧٢، مرجع سابق.

(٣) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٠٥، مرجع سابق.

(٤) مكروم، عبد الودود: الأصول التربوية لبناء الشصخية المسلمة، ص ٢٧٢، مرجع سابق.



١. رحمة الإنسان: حنانه ورقته ولينه وشفقته، وإحسانه المادي والمعنوي لنفسه ولغيره من عالم الإنس والحيوان.

٢. رحمة الله: فضله وإنعامه ولطفه، وإحسانه الدنيوي والأخروي على خلقه أجمعين[١].

تتجلى حقيقة خلق الرحمة والشفقة عند المسلم في مواطن معينة يتعرض لها، تكشف عن مدى تجذّر هذا الخلق في نفسه، وعن مدى احتسابه هذه الخلق لله الله عز وجل ، وعن مدى إبصاره ووعيه بدور هذا الخلق في التقرب إلى الله عز وجل ومن بين المواطن، تلك المواقف التي يدعو فيها المسلم الناس إلى الله الله عز وجل ، وتكون دعوته خالصة لله الله عز وجل ، لا يريد منها إلا إنقاذهم، ولكنه يفاجأ أحياناً بردّات فعل عنهم سلبية وغاية في السوء، ولربما توجه إليه إهانة ما، تتطلب منه رداً قاسياً، أو انتقاماً منهم بوسيلة ما حتى ولو بالدعاء عليهم. والمسلم إذا لم يكن محصناً بخلق الرحمة والشفقة والإخلاص لله الله عز وجل ، فإنه قد يصدر منه ردود فعل تتنافى مع خلق الرحمة والشفقة، وتتناقض مع إخلاصه لله الله عز وجل ، ومع غاية الدعوة إلى الله الله عز وجل ، وتتوافق مع نفسه الأمارة، حيث ينزع إلى الانتقام لها، ولكن إذا ما كان خلق الرحمة بالمدعوين والشفقة بهم متجذراً في نفس الداعية ومخلصاً فيه لله الله عز وجل ، فإنه سيبادر إلى امتصاص الموقف، ومقابلة الناس بالشفقة عليهم، لأنهم قوم قد استلزهم الشيطان ويريد أن يبقيهم في حضيرته.

وتزخر السنة النبوية بمثل هذه المواقف، من ذلك: ما حدث معه في رحلته الدعوية إلى الطائف وما لاقاه من أذى نفسي وبدني، لدرجة أمكنة الله عز وجل من الانتقام منهم بواسطة ملك الجبال، ولكن الرسول الرحيم الشفيق الرؤوف، لم تسمح رحمته لنفسه بالانتقام، صلوات الله وسلامه عليه، بل جعلته ينتظر منهم ما هو أبعد من ذلك، أن تحفّهم رحمة الله ولو

---

(١) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٣٩، مرجع سابق.

بعد حين، فقال: (**بل أرجوا أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً**)(١).

ومثال آخر على حيلولة الشفقة والرحمة دون الانتصار لحظوظ النفس، نجدها في غزوة أحد يوم أن شُجّ وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، ودخلت حلقتا المِغْفر في وجنتيه، والدّم يسيل على وجهه الشريف، وهو يردّد دعاءً لطيفاً تملأه الشفقة، لا يقدر عليه إلا العظماء حقاً، يقول: (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**)(٢). وكذلك ما يرويه أبو هريرة، قال: قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع على المشركين، قال صلى الله عليه وسلم : (**إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة**)(٣). وأيضًا ما يرويه أبو هريرة، قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله فقال: يا رسول الله إنّ دوساً (قبيلته) قد عصت، وأبت فادع الله عليها، فاستقبل رسول الله القبلة، ورفع يديه، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم : (**اللهم اهد دَوْساً وائت بهم**)(٤).

والمسلم الذي يتخلق بخلق الرحمة، ويصبح مكوّناً أساسياً في طبيعته الإنسانية، لا بدّ أن يعمّ جنبات حياته، وأن تبدو معاني هذا الخلق ووقائعه من الشفقة والرفق واللين والحنان والعطف والإحسان واللطف في سلوكه الإنساني، وفي مواقفه الحياتية اليومية، متمثلاً في ذلك قدوته، رسول الله صلى الله عليه وسلم، قدر الإمكان.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: (٢٩٩٢)، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب غزوة أحد، حديث رقم: (٤٧٤٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب النهى عن لعن الدواب، حديث رقم: (٦٧٧٨)، مرجع سابق.

(٤) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب من فضائل غفار، حديث رقم: (٦٦١١)، مرجع سابق.



العنصر التاسع: قيمة القوة:

تعني شجاعة المسلم في دعوته وتعامله، جرأته في الصدع بالحق، وقوته في تحمل المشاق والصبر على الشدائد وثباته على مبادئه وتكاليف دعوته إلى الله عز وجل.

ويستمد المسلم خلق القوة من إيمانه العميق بالله العلي الكبير، ويقينه بموعوده، وتوكله عليه، ومن إيمانه بالحق الذي يعتنقه ويدعو إليه وأنه منتصر لا محالة، ومن إيمانه بأقدار الله عز وجل، وأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأرزاق مقسومة، والآجال محدودة، ولذلك على قدر تمكّن هذه الجوانب من نفس الداعية ومن قلبه ومن عقله، تكون مواقفه الدعوية تتسم بالجرأة والشجاعة(١).

ويلزم على المسلم معرفة حدود خلق القوة والشجاعة ومجالاتها، وذلك بأن "يميز بين الجرأة والغلظة، فالجرأة شيء، والغلظة شيء آخر. فالجرأة: أن يقول كلمة الحق، وأما الغلظة، فهي: أن يبدأ من يريد إصلاحه، وتقويم اعوجاجه، ودعوته إلى الخير، أن يبدأه بالجفاة والفظاظة والشدة. ويحضر في هذه المناسبة هذه القصة: دخل واعظ إلى أبي جعفر المنصور، وأغلظ عليه في الكلام، فقال أبو جعفر للواعظ: يا هذا ارفق بي، أرسل الله عز وجل من هو خير منك إلى من هو شرّ مني، أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون، فقال له: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٤]، فخجل الرجل مما بدر منه"(٢). وعلى المسلم أن ينتبه، أن صورة القوة والشجاعة هي في أن يجهر بالحق وفي إقدامه على بيان الحقيقة ورد الباطل ومواجهة الفساد والفاسدين، وهذا شيء، وأن يكون فظاً وهجومياً وسليط اللسان شيء آخر.

ويحول خلق القوة والشجاعة عند المسلم بينه وبين المداهنة في الحق، بأن يُحرّف حقائق الدين،

---

(١) القرضاوي، يوسف: الإيمان والحياة. مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩٦م، ص ٢٦٩.

(٢) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ١٤٢، مرجع سابق.

ويتنازل عن الثوابت؛ لأجل مرضاة بعض الأسياد، أو لأجل حصوله على مآرب شخصية، أو خشية من غضب أهل الدنيا عليه، أو طمعاً بما عندهم من منازل، "وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات، فإذا سَلّموا في الجُزْء فقدوا هيبتهم وحصانتهم، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر ينتيهان إلى تسليم الصفقة كلها. والتسليم في جانب من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان –أو غيرهم– هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان في نصرة الدعوة. والله وحده هو الذي يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم"[1]. يقول الله عز وجل ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ٩ ﴾ [القلم: ٩]، قال السعدي: "أي: لو توافقهم على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكون عما يتعين الكلام فيه، (فيدهنون)، ولكن أصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يضادّه، وعيب ما يناقضه"[2].

العنصر العاشر: قيمة الحِلْم:

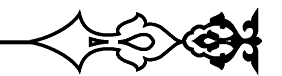
قال ابن فارس: حلم: الحاء واللام والميم أصول ثلاثة: الأول: ترك العجلة، وهو الحلم بمعنى خلاف الطيش، يقال: حلمت عنه أحلم، فأنا حليم. والثاني: تثقّب الشيء، يقال حلم الأديم: إذا تثقّب وفسد. والثالث: رؤية الشيء في المنام، يقال: قد حلم في نومه حلماً وحلماً[3]. ومن المهمّ التفريق بين الحِلم الذي هو خلق وبين الحُلم الذي هو رؤيا في المنام؛ فالأول بكسر الحاء وضم الميم، والثاني بضم الحاء وضم الميم أو تسْكينها[4]. وفي المعجم الوسيط: حلم

(١) فائز، أحمد: طريق الدعوة في ظلال القرآن. دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٢٢ هـ، ج١، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٨٧٩، مرجع سابق.

(٣) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص ٢٧٨، مرجع سابق.

(٤) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٨٠، مرجع سابق.





حلماً: تأني وسكن عند غضب أو مكروه مع قدرة وقوة[1]. والحلم: الأناة وضبط النفس. وكذلك من معاني الحلم: العقل، ففي التنزيل العزيز ﴿ أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ ﴾ [الطور: ٣٢][2]. وقال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن: "الحِلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام"[3].

والحلم هو: "الأناة والتثبّت في الأمر، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب، وكظم للغيظ، وعفو عن السيئة. والحليم هو ذو الأناة الذي لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه، ولا يتسرع بالعقوبة، بل يضبط نفسه، ويتريث، وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة، وكل ذلك لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب"[4].

ويرى بعض العلماء بأن خلق الحلم "هو حالة متوسطة بين رذيلتين: الغضب، والبلادة، فإذا استجاب المرء لغضبه بلا تعقّل ولا تبصّر كان على رذيلة، وإن تبلّد وضيّع حقّه ورضي بالهضم والظلم كان على رذيلة، وأن تحلى بالحلم مع القدرة، وكان حلمه مع من يستحقه كان على فضيلة"[5]. وهذا الكلام يشير إلى الفقه الصحيح لخلق الحلم، والممارسة السليمة له على أرض الواقع.

ويرى علوان أن "الحلم معناه: أن يكتم المؤمن غيظه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه. ولقد وردت هذه المعاني للحلم في أكثر من آية في كتاب الله الله عز وجل ، قال الله عز وجل :" وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ

(١) إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ١٩٤، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ص ٢٥٣، مرجع سابق.

(٤) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٣٣٧، مرجع سابق.

(٥) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٠٣، مرجع سابق.

المُحْسِنِينَ " [آل عمران: ١٣٤]، وقال الله عز وجل : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال الله عز وجل : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [فصلت: ٣٤]"[١].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

ويشرح العلماء معنى اسم الله الحليم، بقولهم: "الحليم، هو ذو الصفح والأناة، الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصٍ، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحليم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة، المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة، فاتصاف الله بالحلم بمعنى البراءة عن الطيش، وتأخير العقوبة أو دفعها، فالحليم على الإطلاق هو الله الله عز وجل "[٢]. وقال السعدي في تفسير قوله الله عز وجل : (إن الله غفور حليم) (آل عمران: ١٥٥)، "(إن الله غفور) للمذنبين الخاطئين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، (وحليم) لا يعاجل من عصاه، بل يستأني ويدعوه إلى الإنابة والإقبال عليه"[٣].

وبناءً عليه يمكن تعريف خلق "الحلم"، بأنه: "التأنّي والتعقّل وضبط النفس مع القدرة على الانتقام، أمام المواقف التي تستثير الإنسان وتدعوه للغضب". ويمكن للمؤلف أيضاً أن يعرف الحلم بأنه: "الردّ الهادي على المواقف المستفزة"[٤].

ومن الأخلاق ذات الصلة المباشرة بخلق الحلم: خلق "الأناة"، وفي اللغة: تأنّى في الأمر، بمعنى: ترفق وتنظّر، والاسم: الأناة، ومن معانيها الحلم[٥]. والأناة: بمعنى التثبت

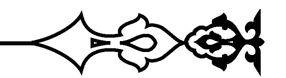
(١) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٨، مرجع سابق.

(٢) ابن قيم الجوزية، أسماء الله الحسنى، ص ١٧٠، مرجع سابق.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٥٣، مرجع سابق.

(٤) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٨٠، مرجع سابق.

(٥) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، ص ٤١، مرجع سابق.





وعدم العجلة والتصرف الحكيم بين العجلة والتباطؤ(١). ويعرف بعض المؤلفين الأناة بأنها: التربص والتثبت وترك العجلة حتى يستبين الصواب(٢).

يسعى المسلم دائمًا لأن يتخلق بخلق الحلم وما يتصل به، تخلقاً بصفات الله عز وجل ، واتباعاً لنبيه، واستجابة منه لأن يتصف بخصلة يحبها الله عز وجل ، لأنها ستكون موصلة إلى محبة الله عز وجل لهذا المسلم.

وعلى المسلم أن يفقه حقيقة خلق الحلم، حتى يتسنى له تطبيقه على أرض الواقع بصورة إيجابية، فليس "من الحلم التباطؤ والكسل، والتواني والإهمال، وتبلّد الطبع عند مثيرات الغضب، ونحو ذلك، بل هذه أمور مضادة لخلق الحلم. إن الحلم فضيلة بين رذيلتين متباعدتين، وطرفين متقابلين، فمن وراء يمين الحلم يأتي التباطؤ والكسل، والتواني والإهمال، وتبلد الطبع عند مثيرات الغضب، ونحو ذلك. ومن وراء يسار الحلم يأتي التسرع في الأمور، واستعجال الأشياء قبل أوانها، والاستجابة السريعة لمثيرات الغضب ونحو ذلك. ولما كان الحلم هو الفضيلة الخلقية التي تأتي بالخير، وتدل على سلامة المزاج واعتداله، وعدم جنوحه ذات اليمين أو ذات الشمال، كان ما يتجاوزه يميناً أو شمالاً منافياً له، ونقصاناً خلقياً لا يأتي بالخير المطلوب، بل قد يأتي بالشر والضر أو الأذى"(٣). وعليه، فإن المسلم الحليم، يضع الحلم في موضعه الصحيح، ويفرق بين موقف يكون فيه متكاسلا ومتبلد الطباع، وبين آخر يكون فيه واسع الصدر.

ولما "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائد الأمة الخالدة، قال الله له في الآية بعد وصفه

---

(١) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٢٠، مرجع سابق.

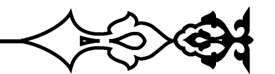
(٢) الحارثي، حمود جابر مبارك: أهمية الأناة وأثرها في الدعوة. دار المسلم، الرياض، ط ١، سنة ١٤١٩م، ص ١٤٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٣٨.

بخلق الرحمة: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أما العفو عن السيئة بدافع من خلق الرحمة في القلب فمن شأنه أن يملك القلوب، ويستولي عليها بالمحبة، وقد تحقق الرسول بها أرشده الله إليه، فكان يعفو عن السيئات التي تمسه، وما كان يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله. وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنهما قالت: (**لم يكن رسول الله فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخابا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح**)[(١)]. وهذا ما ملك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب أصحابه، وسيبقى عفوه عن قريش بعد فتح مكة أعظم شاهد في التاريخ على قمة العفو في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث عفا عمن ظلمه وآذاه وقتل أصحابه، عفواً شاملاً وصادقاً رغم مقدرته على الانتقام، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، والدعاة على دربه مدعوون للأخذ بأخلاقه، ومنها خلق العفو عن المسيء وعمّن تسبّب في الإيذاء رجاء أن يكون ذلك سبباً لهدايته ورجوعه إلى الحق.

ويتمكّن المسلم من اتخاذ القرار بالعفو عن الجهة التي آذته وأضرت به مع مقدرته على الانتقام، ومع وجود دواعي النفس لحب الانتقام وتحريض القريبين منه، يتمكن مع كل ذلك من العفو حينما يعفو لأجل الله عز وجل وحده، وطلباً للأجر منه الله عز وجل ، وابتغاء مرضاته الله عز وجل استجابة لقوله الله عز وجل : "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ" [الشورى: ٤٠]، ومن عفا عفا الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن صفح صفح الله عنه. ويمتدح القرآن أولئك الذين يجمعون بين خلق الحلم وخلق العفو: وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٣٤] في آيات عظيمة القدر يذكر الله فيه صفات المتقين. قال ابن كثير: قوله: (والكاظمين الغيظ) أي: لا يعملون غضبهم في

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٩٧٨٧)، مرجع سابق.



الناس، بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله الله عز وجل ، ثم قال الله عز وجل : (والعافين عن الناس) أي: مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: (والله يحب المحسنين)، فهذا من مقامات الإحسان[1]، وفي الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّا، ومن تواضع لله رفعه الله)**[2].

---

(١)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ ، ج٢، ص ٢١٧.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب استحباب العفو، حديث رقم: (٦٧٥٧)، مرجع سابق.



المبحث الثاني

آثار تطبيق القيم الدينية والخلقية في المجال العملي

تحاول الدراسة في هذا المبحث إبراز آثار تطبيق القيم الأخلاقية في المجال العملي، والمقصود به المجالين الدعوي والاجتماعي، من خلال تتبع آثار كل قيمة بعينها، وذلك على النحو التالي:

العنصر الأول: قيمة التواضع:

يلزم على الفرد المشتغل بمهمة الدعوة أن يتخلق بخلق التواضع عن غيره من المسلمين والناس أجمعين؛ لأنه يحمل على كاهله همّ تبليغ رسالة الإسلام، وهو يقوم بدعوة الناس إلى الله الله عز وجل ، كما أنه يمثّل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وينتمي إلى مدرسته الدعوية، وعليه فإن تخلقه بخلق التواضع، يعد "لازمة" و "ضرورة" في حقه، حتى تثمر دعوته، وتحقق أهدافها، فالناس من المدعوين وغيرهم، حينما يجدون في الداعية خلق التواضع، فإنهم يقتربون منه، وهو يجذبهم إليه؛ لأن النفوس تميل إلى الإنسان المتواضع اللين الجانب، وتنفر من الشخصية المتكبرة والمتغطرسة، ولذلك يشكل التواضع بالنسبة للداعية أداة جذب للمدعوين، وسبيل محبة ومودّة بينه وبينهم، وهذا ما يؤدي إلى ثمرات طيبة على صعيد حب الناس للدعوة، واحترامهم للمدعوين، أو على صعيد استجابتهم للدعوة وانضمامهم إلى المدعوين. لذا على الدعاة الحرص كل الحرص على خلق التواضع، والنفور الشديد من أحوال الكبر والغطرسة.

هذا وإن للدعوة إلى الله عز وجل قيادة تتولى أمرها في كل زمان ومكان، وهذه القيادة الدعوية، هي على مراتب ودرجات، قد يعظم شأنها في المجتمع وتكبر شهرتها وسمعتها، وقد تبقى محدودة الشأن بالكاد تعرف إلا بين أتباعها، وأيا كان الحال أو التوصيف لقيادة الدعوة، أو للدعاة القادة، فلا بد أن يوجد دائماً في المجتمع المسلم، وفي بيئة الدعاة، من يتبوأ مركزاً

قيادياً بين سائر إخوانه الدعاة إلى الله عز وجل ، وهذا الصنف من الدعاة، يعد التزامه بخلق التواضع ركيزة محورية، وضرورة ملحة لنجاح الدعوة ولسلامة صورتها الأخلاقية. وعلى أمثال هؤلاء من الدعاة القادة، أن يتخذوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة في خلق التواضع(١).

أما في المجال الاجتماعي؛ فتعد قيمة التواضع من أسمى القيم الخلقية التي تأتي بثمارها سريعا في ترابط المجتمع وتوافقه، واجتماعه وتوحده، وقد ساد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه وبتواضعه الأمة، وهو سيد ولد أدم وخير الناس، وذلك أن من أحواله ما يأتي:

١. كان إذا صافح الرجل لم ينقل يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده(٢).
٢. كان يوم الأحزاب ينزع التراب، ولقد وراى التراب بياض بطنه(٣).
٣. كان يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم(٤).
٤. كان يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف العاجز، ويدعو لهم(٥).
٥. كان يزور الأنصار، ويسلم على صبيانهم، ويسمح رؤوسهم(٦).

---

(١) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٩٧، مرجع سابق.

(٢)الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل. دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٩م ، حديث رقم: (٢٤٩٠).

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب غزوة الأحزاب، حديث رقم: (٢٢١٣)، مرجع سابق.

(٤) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: (٢١١٢).

(٥)السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م ، حديث رقم: (٢٢٩٨).

(٦) الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (١٢٧٨)، مرجع سابق.

٦. كان يُدعى إلى خبز الشعير[١].

٧. كان يقول: "هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"[٢].

٨. كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويحتلب الشاة[٣].



هذا ويفرض خلق التواضع على الفرد أدب الحديث وأدب مخاطبة الناس، فيتكلم معهم بلغة القريب والخافض جناحه، لا بلغة البعيد والمستعلي، ويبتعد عن كل مظاهر الخطاب التي من شأنها أن تحقر الآخر، وأن تشعره بأنه دون المستوى اللائق.

ويتجلى تواضع الفرد في طاعة من أمر الشرع بطاعتهم، كالأمير، ومن يتولى شؤونه أو تعليمه، وألا يستنكف عن هذه الطاعة، ولا يحس منها بغضاضة، ولا يمنعه منها كبر خفي في نفسه فيرفضها ويستثقلها أو يتهرب منها بتأويلات فاسدة هي في حقيقتها من إيحاءات الشيطان، كأن يقول: هذا الأمير أو المعلم غير صالح ولا كفء أولا يصلح"[٤]. بل عليه طاعته طالما كان ذلك في مصلحة الدين والمجتمع، وموافقاً للشرع؛ لأن هذه الطاعة تعد ضرورة بين أعضاء المجتمع الواحد، لتنجح الحياة، وتسير المركب وتصل إلى أهدافها قبل أن تغرق بسبب رياح الخلافات والتمرد والعصيان بين الأتباع والقادة.

ومن تواضع الفرد مع مجتمعه أن يبدأ من يلقاه بالسلام، وأن يخالط العامة في مجتمعاتهم، وأن يصاحب الفقراء في مجالسهم، وأن ينبسط للناس حين يجتمع بهم، وأن يأكل ما حضر من الطعام، وأن يرضى أن يلبس ما تيسر من اللباس، وأن يمشي على الأرض هوناً، وأن لا يكون

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه، حديث رقم: (٣٣١٢)، مرجع سابق.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (١٨٧٦)، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، حديث رقم: (٢١٢٠).

(٤) زيدان، عبد الكريم: أصول الدعوة، ص ٤١٣، مرجع سابق.

من المتكلفين[1]. وليستذكر كل أفراد المجتمع جملة من آيات الكتاب العزيز التي تعينه على تطبيق خلق التواضع وتدفعه إلى سلوك مسالكه الرشيدة، ومن هذه الآيات: قوله الله عز وجل: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[الفرقان: ٦٣]، وكذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (**اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين**)[2]. لذلك كان يقول سيد المتواضعين رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**)[3].

العنصر الثاني: قيمة الكرم:

يفهم خلق الكرم كما يراه أحد الباحثين على أنه "أن تعطي وأن تهب، وأن تهدي، وأن تغدق على المدعو: تضيفه، وتكرمه، وتعينه، وتبذل له"[4]. فالفرد الكريم هو النفّاع، كثير الخير والإحسان المادي إلى غيره ممن يتصل بهم في حياته الخاصة والعامة، ولذا يبدأ كرم الفرد من إكرامه لنفسه، ثم لأهل بيته، ولأقاربه، ثم للمسلمين عامة.

والفرد المسلم هو الأَوْلى بخلق الكرم من غيره، يقول العلوان: "فإذا كان هذا فضيلة الكرم، ومنزلة الكرماء، فاحرص أخي المسلم على أن تتخلق بهذا الخلق النبيل، وأن تتحلى بهذه الخصلة الحميدة، أتدري لماذا؟ من أجل أن تتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في شمائله العطرة، لكونك من ورثة النبوة، من أجل أن يجد الناس فيك القدوة بالكرم والسخاء، من أجل أن يروا فيك الزهد بالمال والإقبال على الآخرة، من أجل أن تعرف الدنيا أن الغنى غنى

---

(١) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٣١، مرجع سابق.

(٢) الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، باب فقراء المهاجرين، حديث رقم: (٢٣٥٢) وقال الألباني: صحيح، مرجع سابق.

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: (٦٧٥٧)، مرجع سابق.

(٤) المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية، ص ١٢٦، مرجع سابق.

النفس، لا غنى المتاع الزائل. من أجل أن تجذب أبناء الأمة إلى الهدى وتحببهم في الإسلام، ومن المعلوم أن الإنسان عبد الإحسان، وجبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، فبالكرم وبالسخاء تملك النفوس، وتنفتح لك القلوب، وتفجر في المجتمع طاقة الهداية، وتكون سبباً في إصلاح الناس وشدهم إلى الإسلام. فاحرص على أن تكون ممن تخلق بخلق الكرم والسخاء، لتكون لك المحبة قوية، والثقة بك عظيمة، وتأثيرك في الناس بالغاً مداه"[1].



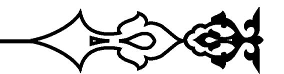
والكرم هو أداة فعالة في الدعوة النبوية، وعلى الدعاة، وعلى الدعوات أن ينحوا ذات المنحى الذي سلكته الدعوة النبوية، إذا ما أرادوا أن يحققوا النجاح الدعوي، وأن تتسم فيهم خصائص الدعوة النبوية. فكتب السنة النبوية والسيرة، تؤكد لنا بأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت من بين أخلاقه الكثيرة الفاعلة في ساحة الدعوة، خلق الكرم، فلقد اتخذ منه سلاحاً إنسانياً ساحراً، وأداة دعوية جاذبة، فأحبه الناس وأحبوا دعوته التي دعا بها، ولبوا نداءه، ووجدوا فيه العفة، فهو يعطي ما لديه للآخرين، ويزهد فيما عند الآخرين، فعن أنس، قال: (**ما سئل رسول الله شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه، فقال: يا قومي، أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة**)[2]. وفي غزوة حنين، أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة، قال صفوان: (**والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطني حتى إنه لأحب الناس إلي**)[3]. وقال أنس: (**إنْ كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما**

---

(١) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٣٢-٢٣٣، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال: لا. حديث رقم: (٢٣١٢)، مرجع سابق

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب ما سئل رسول الله شيئا قط فقال، حديث رقم: (٦١٦٢)، مرجع سابق



يسلم حتى يكون الإسلام أحبّ إليه من الدنيا وما عليها)[1].



وهذا لون من ألوان الكرم الذي استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس إلى دين الله، وكثيرة هي ألوان الكرم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كرم الضيافة إلى كرم الأصحاب[2]، إلى إكرام الجيران، والرّحِم، وعامة الناس، وأهل الفضل والمكانة. وهذا ما على الدعاة والدعوات الأخذ به، وتفعيله في عملياتهم الدعوية، وتعاملاتهم مع المدعوين، فيكرمونهم بشتى صور الإكرام والإحسان المادي، والضيافة؛ لأن هذا جزماً سيترك انطباعاً إيجابياً في نفسية المدعو سواء تجاه الدعوة، أم تجاه حملة الدين ودعاته [3].

أما في المجال الاجتماعي؛ فيلزم على الفرد المسلم إظهار فضيلة خلق الكرم، والبذل والعطاء، ومعاني الإيثار، وبخاصة في زماننا، فلقد "غاب عن الأذهان في حضارة هذا القرن، الإيثار والتضحية بين الأهل والجيران، وذلك بسبب لوثة هذه المدنية الحديثة، فالأنانية طاغية، والتبرم سائد، رغم كثرة الأموال، ولكنه الهلع من شبح الفقر، والخوف على فوات الملذات. إن النفس الشحيحة لن يصدر عنها خير، والنفس المجدبة لن تستطيع التأثير والإفادة، ولو زعم صاحبها أنه من كبار الدعاة إلى الله. الواجب على المربين أن يغرسوا خلق السخاء والكرم في نفوس الناشئة، فالنفس التي تعود على البذل، ستكون بإذن الله نفساً خيرة معطاءة، مجاهدة في سبيل ربها، مرتفعة على شهوات الدنيا، وجواذب الأرض الهابطة، ستكون هذه النفس مشاعل خير نيرة، تضيء الطريق أمام صحوة جادّة على طريق الرعيل

---

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: (٦١٦١)، مرجع سابق.

(٢) الفوزان، صالح: من أخلاق الأنبياء. دار الهدى، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٣٠هـ، ص ٥٤.

(٣) خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي، ص ١٥٧، مرجع سابق.

الأول بإذن الله"[1].

ويضاعف الفرد المسلم من مظاهر الكرم والجود والبذل لديه في المناسبات الدينية والاجتماعية والإنسانية، مثل: رمضان، وحالات المجاعة والفقر، والإسهام في بناء مشروع خيري معين في حيه أو بلدته، وفي النكبات، وفي جمع التبرعات للعائلات الفقيرة ويمكن استمداد هذا الأمر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي يقول فيه: (**كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان**)[2]. فهذه هي سنته في التعامل مع المناسبات الدينية، أن يرفع فيها درجة تفعيل الأخلاق، وإحيائها عملياً في واقعه، ولذا على الدعاة الاقتداء بذلك والزيادة من درجات خلق الكرم والجود في واقعهم حينما تستجد فيه مقامات ومناسبات تتطلب المزيد من البذل.

العنصر الثالث: قيمة الأمانة:

يلتزم المسلم بخلق أمانة التبليغ، وهي في حقه ضرورة، لأنه ينتسب إلى دين الإسلام، والمراد بأمانته في التبليغ: "أن يبين للناس ما وجب عليه تبليغه. فلا يجوز له شرعاً أن يكتم ما أنزل الله من البينات والهدى، ولا يصح في دين الله أن يؤوّل النصوص على نقيض ما تحتمل. فإذا فعل شيئاً من هذا بأن كتم علماً وجب عليه تبليغه، أو أوّلَ نصاً وجب عليه توضيحه، فيكون خائناً لأمانة العلم، كاتماً للحق، فيستأهل غضب الله ولعنته وعقابه، يقول الله عز وجل في ذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾[البقرة: ١٥٩]. وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن كتمان العلم من الخيانة"[3]. يقول السعدي: "هذه الآية، وإن كانت نازلة في

(١) الناصر، محمد: أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام، مجلة البيان، العدد ٢٤، ص ١٨.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب كان النبي أجود الناس، حديث رقم: (٦١٤٩)، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ج١، ص ٢٢٧

أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق المظهرات له"(١).

ولذا وجب على المسلم التنبه لمثل هذا، وأنْ يكون أميناً في تبليغه لدعوة الإسلام، كما هي صافية واضحة، رضي من رضي، وغضب من غضب؛ لأنه أمين على رسالة ربه الله عز وجل. وله في ذلك القدوة بالأنبياء الدعاة، الذين لازمت الأمانة نصحهم ودعوتهم وتبليغهم لشريعة ربهم الله عز وجل، فسطر لنا ربنا الله عز وجل هذا في القرآن الكريم، لتكون لنا القدوة فيهم، فقال الله عز وجل في حق نوح عليه السلام : ژ **ئۆ ئۈ ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح** ژ [الشعراء: ١٠٦ – ١٠٧]، قال ابن كثير: "أي: إني رسول من الله إليكم، أمين فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله، لا أزيد فيها، ولا أنقص منها"(٢).

فالأمانة صفة راسخة وخلق فاعل في دعوة أنبياء الله عز وجل، وهكذا يجب أن تكون فاعلة في خطاب كل من يدعو إلى الله عز وجل، فيكون لسان حاله يقول للناس: إننى لكم داعية أمين، وواعظ أمين، ومعلم أمين، ومرشد أمين، ومدرس أمين، أي: مأمون على ما أدعوكم إليه، وما أعلمكم إياه، وما أعظكم به.

أما في المجال الاجتماعي؛ فيحرص الفرد على أن يتخلق بخلق الأمانة المادية، بمعنى أنه إذا ما استودع الناس عنده أموالاً أو بضاعة أو أجهزة أو مزارع أو بنايات، أو غير ذلك من الماديات صغرت أو كبرت، عليه أنْ يحفظها من الضياع والهلاك، وأن يوفّيها لأصحابها حينما يطلبونها منه أو يستوجب عليه ذلك، وذلك اقتداءً بسيدنا محمد، حينما استودعته قريش أموالها وذهبها، فقام بردها إليهم كاملةً حينما هاجر إلى المدينة المنورة، حيث أبقى عَلياً في بيته

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٧، مرجع سابق.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ١٥١، مرجع سابق.

ليردّ الودائع المالية إلى أصحابها.

كما يحرص التحقق بخلق الأمانة الاجتماعية، بمعنى أن يكون أميناً في تعامله مع مختلف فئات المجتمع، فيحفظ أسرار الناس، ويلتزم بمواعيده معهم، ويستر عليهم، ويحفظ حق الجوار، وخصوصيات أهل بيته وأقاربه والعاملين معه، ويصون أعراض المسلمات. وله في سيدنا موسى عليه السلام وفي قصة إقامته في "مَدْين"، وزواجه من ابنة ذلك الرجل الصالح(١) القدوة والمثل، وشهادة نساء المجتمع له بالأمانة والعفة، لما وجدنه فيه من خصال حميده، وأمانة اجتماعية رفيعة، حينما ساعد اثنتين من نساء المدينة في سقي أغنامهن لصعوبة قيامهن بذلك وسط زحمة الرجال، وبعد أن سقى لهما، ذهب إلى ظل شجرة قريبة وسأل الله من فضله، ولقد كان خلق الأمانة والرحمة من فضل الله عليه، كما كان فضل الله عز وجل حاضراً له بسبب موقفه هذا وتضرعه إلى الله، فكان أن تزوج بإحداهن، بعد أن شهدت له بالأمانة، كما في قوله الله عز وجل : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [القصص: ٢٦]، والشاهد الذي يعنينا هنا، هو وصف تلك المرأة لسيدنا موسى عليه السلام بأنه أمين، ولقد جاءت رواية توضح جانباً من هذه الأمانة الاجتماعية والأخلاقية، فعن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**إذا سئلت: أيّ الأجلين قضى موسى؟ فقل: خيرهما وأتمها وأبرهما، وإذا سئلت أيّ المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى منهما، وهي التي جاءت، وقالت: يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين. قال: وما رأيت من قوته؟ قالت: أخذ حجراً ثقيلاً فألقاه عن البئر، قال: وما الذي رأيت من أمانته؟ قالت: قال: امش**

(١) الخالدي، صلاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل. الدار الشامية، دمشق، سوريا، ط ١، سنة ٢٠٠٨م، ج٢، ص ٣٢٥-٣٤٦.



خلفي، ولا تمشي أمامي)[1].

العنصر الرابع: قيمة الإخلاص:

إن حكم إخلاص المسلم في أعمال المسلم الدعوية التي يقوم بها هو واجب شرعاً[2]. فعلى الفرد أن يدرك جيداً، وأن يستذكر دائماً أن قصد القربة وابتغاء وجه الله عز وجل لا غير في أعماله أمر لازم في حقه، وواجب عليه، وأن الله عز وجل لا يمكن أن يقبل عمله، وإن كان من حيث ذاته عملاً صحيحاً موافقاً للشرع، إلا بأن يكون خالصاً لوجه الله عز وجل ؛ لأنه وكما قرر علماء الأمة في بيان واضح، أن العمل حتى يقبل عند الله عز وجل لا بد من توفر شرطين، هما: أن يكون موافقاً للشرع، وأن يكون خالصاً لله الله عز وجل ، فقد ذكر ابن القيم في قوله الله عز وجل : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]، كلام أهل العلم المتعلق بقبول العمل حيث يقول: "قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه؟ قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً، لم يقبل، حتى يكون خالصا صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله الله عز وجل :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول الله وسنته صلى الله عليه وسلم "[3]، فواجب على المسلم أن

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الصغير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط ٢، سنة ١٤٠٤هـ، حديث رقم: (٨١٥).

(٢) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ٣٠، مرجع سابق؛ العرعور، عدنان بن محمد: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٥٤، مرجع سابق.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص ٦٧، مرجع سابق.

"ينظر في أعماله التي تصدر منه: هل هي موافقة لشريعة الله، وداخله في تعاليم المنهج الذي رسمه الله؟ وهل هي خالصة لوجهه الكريم، وألا يبتغي من ورائها جزاءً ولا شكوراً؟"(١).

ويعد التزام خلق الإخلاص أولوية بالنسبة للمسلم، وبخاصة الداعي إلى الله، فعمله أصلاً كله مُوجه لتبليغ دين الله عز وجل، فهل يعقل أن يدعو غيره إلى الله، ويكون غير مخلص لله الله عز وجل ؟ فهو أولى من غيره بالاتصاف بهذا الخلق. ويتحقق المسلم بوصف المخلص لله الله عز وجل، إذا قصد من وراء عمله ونصحه وتبليغه في الدنيا وجه الله(٢).

كما على المسلم أن يحذر من الرياء وشهوات النفس وحظوظها ومن تلبيسات الشيطان الخفية عليه في نيته، فالله عز وجل أغنى الشركاء عن الشرك، وهو الله عز وجل يتبرأ من كل عمل فيه شرك ورياء، كما أنه الله عز وجل توعد أولئك الذين يتعلمون العلوم الشرعية لغيره الله عز وجل، أو يُعلمونها رياء وسمعه(٣).

ولذلك فإن المسلم المخلص تظهر عليه أمارات ذلك، كالحماس للعمل الدعوي، والحرص على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبدافع ذاتي منه؛ لأن إخلاصه لله يعمل كأقوى باعث ودافع له للقيام بواجباته الدعوية، كما أنه يصبر لله الله عز وجل، ويحتمل الأذى(٤) من الناس؛ لأجل الله عز وجل، ولا ينتصر لنفسه بل ينتصر لدينه فقط. وقد قيل لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لِعزّ الإسلام،

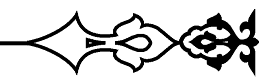
---

(١) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ١٣٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ج١، ص ١٣٥

(٣) الغزالي، محمد: خلق المسلم. دار الصفا، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٨م، ص ٧٣؛ فريد، أحمد: البحر الرائق في الزهدج والرقائق. الدار السلفية، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٩م، ص ١٤٣

(٤) بلال، عبد الحكيم: الإخلاص وهم الدعوة. دار المنى، عمان، الأردن، ط ١، سنة ٢٠٠١م، ص١١.



ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لِعزّ النفوس وطلب الدنيا، ورضا الخلق"[1].

ويشكل إخلاص المسلم في تعاملاته ودعوته وحياته وقربه إلى الله عز وجل عاملاً أساسياً في نصرة الدين، وفي نصرة قضايا الأمة كذلك؛ لأن الإخلاص سبب في استجابة الدعاء وتَنزّل النصر، والعون من الله الله عز وجل ، كما قال: (**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**)[2].

وفي المجال الاجتماعي، يؤثر الإخلاص في الجانب النفسي من شخصية المسلم بشكل قوي، إذ يعمل على تصفية قلبه وباطنه من الغلّ والحقد وغيرها من أمراض الباطن الذميمة، لقوله: (**ثلاث لا يَغلّ عليهن قلب مسلم، وذكر منهن: إخلاص العمل لله**)[3] ومعنى لا يغل: لا يبقى فيه غل، وهذا لا شك أدعى إلى تحقق الخير في المجتمع.

العنصر الخامس: قيمة الصبر:

والصبر واجب في حق عموم المسلمين، وهو في حق الداعية أولى وأوجب وأهم. والحقيقة التي لا يمكن تجاوزها وعدم الاقتناع بما يناقضها أن الصبر حاجة أساسية للداعية إلى الله الله عز وجل ، يقول زيدان: "وإذا كان الصبر ضرورياً لأي إنسان، لا سيما للمسلم، فإن الصبر للداعي المسلم أشد ضرورة له من غيره؛ لأنه يعمل في ميدانين: ميدان نفسه، يجاهدها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه، وهو ميدان الدعوة إلى الله،

---

(١) العفاني، سيد: صلاح الأمة في علو الهمة. دار العفاني، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ج١، ص ١٠٨.

(٢)النسائي، أحمد بن شعيب: المجتبى من السنن. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، سنة ١٩٨٦م ، حديث رقم: (٣١٧٨)، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) ابن حبان، محمد بن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، حديث رقم: (٦٨٠)، وقال الأرناءوط: إسناده صحيح، مرجع سابق.

ومخاطبة الناس في موضوعها، فيحتاج إلى قدر كبير من الصبر في المجالين: مجال النفس ومجال الدعوة، حتى يستطيع تجاوز العقبات وتحمل الأذى"(١).

ويقول عرعور(٢): "إذا كان العلم شرط الداعية إلى الله، وسبباً في سداده، فإن الصبر عتاده وسلاحه، ولا قتال بلا سلاح، ولا مواجهة بلا عتاد، ومن قاتل بغير سلاح فشل، ومن سار بغير وقود انقطع. لأجل هذا كان من أوائل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمر بالصبر مقرونا بالدعوة إلى الله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾[المدثر: ١ – ٧]"، وقال صلى الله عليه وسلم: (**ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**)(٣). فخلق الصبر حاجة "أساسية للداعية، لأنه يتعامل مع أصناف من المدعوين، فيهم الجاهل والسفيه، والضعيف، وقد يجهل الناس عليه، وقد يتطاولون، بل قد توجه له الإنابة، وبالتالي فإنه مدعو للصبر"(٤).

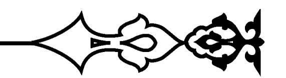
إن طبيعة عمل المسلم في حياته الدعوية على وجه الخصوص تجعل من الصبر ضرورة لازمة له، ومدداً لا ينقطع عطاؤه، فالصبر "هو زاد الطريق في هذه الدعوة، إنه طريق طويل شاق حافل بالعقبات والأشواك، مفروش بالدماء والأشلاء والإيذاء والابتلاء. الصبر على أشياء كثيرة: الصبر على شهوات النفس، ورغباتها وأطماعها وضعفها وعجلتها، والصبر على شهوات الناس ونقصهم وجهلهم، والصبر على نفش الباطل ووقاحة الطغيان، والصبر على قلّة الناصر وضعف المعين وطول الطريق، ووسواس الشيطان في ساعات الكرب والضيق، والصبر على مرارة الجهاد، والصبر بعد ذلك كله على ضبط النفس في ساعات القدرة والغلبة

(١) زيدان، عبد الكريم: أصول الدعوة، ص ٣٩٦، مرجع سابق.

(٢) العرعور، عدنان بن محمد: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٠، مرجع سابق.

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب فضل التعفف، حديث رقم: (٢٤٧١)، مرجع سابق

(٤) العموش، بسام: فقه الدعوة. دار النفائس، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٥م، ص ٤٠.



والانتصار"[١]. وهذا التنوع في حالات الصبر التي لا بد أن تظهر على المسلم تؤكد أن لا إمكان للاستغناء عن خلق الصبر لكل من يختار الدعوة إلى الله عمله ومسلكه.

ولا شك أن صبر المسلم في حياته كلها يضبط له مسيرته، ويعدل لديه دوران عجلة الحياة، فلا يستعجل قطف الثمار، ولا يتعجل النتائج، ولا يشعر بالهرم من طول الطريق ومن قلة النصير، ومن شح المستجيبين "وقد يأتي أحدهم إلى بعضهم، ويقول له: أنت تعمل أعمالاً جبارة، وتواصل كلال الليل بكلال النهار لكن النتيجة في النهاية قليلة، فالناس ينفضّون من حولك، وأنت ترى وسائل الهدم والتخريب قد استحوذت على الكثير منهم، وأصبحت تفسد في ساعة ما يبنيه الداعية في سنة، وهذا المنطق قد يؤثر على كثير ممن لم يعتادوا على عقبات الطريق وهنا يأتي دور "الصبر" الجميل، عن خباب بن الأرت، قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقعد، وهو محمر وجهه، وقال صلى الله عليه وسلم: (**لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط من حديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**) [٢]. فالعجلة في قطف ثمار نصرة الدين ونتائجها لا تتناسب مع الصبر الذي يجب أن يتحلى به الداعية، فعلى المسلم ألا يستعجل النتائج والثمرات، بل يسعى ويعتمد على الله عز وجل ، ويدرك أنه بمنطق التجربة المقطوع بها من الناحية التاريخية، ومن الناحية الواقعية، أن أي جهد صحيح يبذل في الأمة يكون له ثمرة"[٣].

---

(١) فائز، أحمد: طريق الدعوة في ظلال القرآن، ص ١٩٨، مرجع سابق.

(٢) العودة، سلمان بن فهد: من أخلاق الداعية، سلسلة نحو ترشيد الصحوة، ص ١٥-١٦، مرجع سابق.

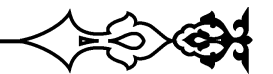
(٣) العرعور، عدنان بن محمد: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، ص ٦٣، مرجع سابق.

ولما "كان الاستعجال ناقضاً من نواقض الصبر، فقد حذر الله منه أشد التحذير بكافة أصنافه، قال الله عز وجل: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ [الأحقاف:٣٥]، أي: ليكن الرسل الأولون قدوتك في الصبر على الدعوة إلى الله، وعدم الاستعجال لهم"(١). ومن مضار الاستعجال أنه قد يقود المسلم إلى ترك عمله وطريقه، أو إلى اليأس والإحباط، وهذا موجود في بعض المسلمين الذين لا صبر قوي لديهم.

أما في المجال الاجتماعي؛ فقد جاء في القرآن الكريم الأمر للنبي بالصبر المفصّل في ميادين الحياة وضروبها المختلفة، كما في الأمر بالصبر على أخوّة الدين، ومساكنة الدعاة الضعفاء، وحبس النفس مع القلة القليلة، حيث يقول الله عز وجل لنبيه﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[الكهف: ٢٨]، وكما في الأمر بأن يصبر على تقوّلات وتخرّصات وتشهيرات وتشويهات أعداء الدين، حيث يقول الله عز وجل لنبيه﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ ﴾[ق: ٣٩].

ويوجه الله عز وجل عموم المؤمنين في كل زمان إلى أهمية التحلي بخلق الصبر في طريق نصرة الإسلام، فيقول الله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ويقول الله عز وجل حكاية لأمر لقمان لابنه:﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧]، يقول سيد قطب في ظلال هذه الآية، ووحي معانيها: "وهذا هو طريق العقيدة المرسوم، توحيد الله، وشعور

(١) المرجع السابق، ص ٦٠





برقابته، وتطلع إلى ما عنده، وثقة في عدله، وخشية من عقابه، ثم انتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر. والتزود قبل كله للمعركة مع الشر، بالزاد الأصيل زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، من التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها، ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي، ومن الابتلاء في المال، والابتلاء في النفس عند الاقتضاء"(١). وهكذا فالصبر يوجه إليه الأنبياء كما يدعي إليه أتباعهم؛ لأن الكل عامل في طريق لا بد فيها من المعاناة، ولا شيء يخفف المعاناة غير الصبر.

وقد جعل الله عز وجل الصبر أحد مقومات الإمامة في الدين، فقال الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[السجدة: ٢٤]، وكما قال علماء السلف: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. فالمسلم الصابر المؤمن بوعد الله عز وجل، مؤهّل ليكون موضع اقتداء عند الآخرين، وأداة تأثير فيهم ومحلّ اعتبار لديهم. ونماذج صبر المسلمين وحملة الدين من علماء الأمة وقادتها وأئمتها كثيرة جداً منذ عهد النبوة الأول إلى زماننا هذا، وكتب السيرة والتراجم والدعوة تزخر بذكر تلك النماذج، فيا حبذا الرجوع إليها.

ويحقق صبر الفرد المسلم إلى الله عز وجل، والتربية على التحلّي بهذا الخلق الأصيل، يحقق آثاره الإيجابية للفرد وللمجتمع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإنّ مع العسر يسرا، إنّ مع العسر يسرا**) (٢). ويقول صلى الله عليه وسلم: (**ما**

(١) قطب، سيد: تفسير في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، سنة ١٩٨٦م، ج٥، ص ٢٧٩٠.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم: (٢٨٠٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح، مرجع سابق.

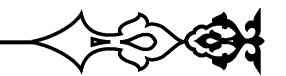
رزق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر)[1]. ويقول صلى الله عليه وسلم: **(ومن يتصبّر يصبّره الله)**[2]. فالصبر من لوازم النصر، والصبر عطاء من الله، والصبر يحتاج إلى تربية وتدريب وبناء وتقويم في نفوس الدعاة، ولذلك علمنا القرآن أن ندعو الله عز وجل قائلين: ﴿ رَبَّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٢٦]، فما أعظم قيمة الصبر حينما يكون خلقاً لدى المسلم، ولكن ما أجلّ قدر العبد حينما يتضرع إلى ربه الله عز وجل طالباً منه أن يلهمه الصبر، لاعتقاده أن الصبر عطية من عطايا الله الله عز وجل ، وأن يكون دافعه للصبر هو إرضاء ربه الله عز وجل وابتغاء الأجر منه، بذلك يكون للصبر طعم آخر مختلف عما يشعر به الآخرون، ويكون الصبر سلاحاً فاعلاً، يحتار الناس في صاحبه كيف يملكه، وكيف يستعمله، وكيف يستطيع أن يصيب به، وأن يؤثر كل هذا التأثير.

العنصر السادس: قيمة العدل:

إن المجتمع المسلم الحقيقي هو الذي يتخذ من قيمة العدل منهاجًا وسراجا له، تلك الحقيقة القرآنية التي جاءت في تحديد أحد أهم وأكبر غايات الرسالات السماوية وهي غاية إقامة العدل واقعاً في حياة الناس، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. فغاية ما لأجله أرسل الله رسله وأنزل كتبه أن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل؛ لذا يجب أن تكون هذه الغاية إحدى المكونات الأساسية لأطر النظرية الإسلامية لدى المسلمين جميعا، ليعطوا بذلك أعمالهم الحياتية والعملية والعلمية بعداً حضارياً وإنسانياً تتشوق إليه البشرية كلها في هذه الأرض، وهو السعي لإقامة العدل في الأرض، وفي ذلك بكل تأكيد إزالة لكل مظاهر الظلم

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، حديث رقم: (٢٤٧١)، مرجع سابق.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب الصبر عن محارم الله، حديث رقم: (٦١٠٥)، مرجع سابق.





والجور والاعتداء، ووضع الأمور في نصابها المستقيم.

أما في المجال الاجتماعي؛ فقد ذخرت السنة النبوية والتاريخ الإسلامي بنماذج كثيرة تحيي من قيمة هذا الخلق العظيم، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمّهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: مَنْ يكلم فيها رسول الله، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمة أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أتشفع في حدّ من حدود الله**) ثم قام فاخْتَطَب، فقال: (**أيها الناس: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)[(١)].

وذكرت لنا المصادر أن عليًّا بن أبي طالب افتقد دِرْعاً كانت عنده فوجدها عند يهودي فقاضاه إلى قاضيه شريح، وعلي يومئذ هو الخليفة أمير المؤمنين. فسأل شريح أميرَ المؤمنين عن شأن الدرع، فقال: الدرع درعي، ولم أبع ولم أهب، فسأل شريح اليهودي: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فرد عليه قائلا: الدرع درعي! وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى أمير المؤمنين، فقال له: هل من بيّنة؟!– لأن البينة على المدعي- فقال علي: ما عندي بيّنة، فحكم القاضي شريح بالدرع لليهودي، لعدم وجود البينة عند المدعي أمير المؤمنين!! وأخذ الرجل اليهودي الدرع ومضى، ثم عاد ليقول: يا الله!! أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه؟ إن هذه أخلاق أنبياء، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت من بعيرك فاتبعتها فأخذتها، فيقول علي: أما إذا أسلمت فهي لك[(٢)]. وعن ثور بن يزيد قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله:

---

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب قطع السارق، حديث رقم: (٤٥٠٦)، مرجع سابق.

(٢) ابن حيان، محمد بن خلف: تاريخ القضاة. دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٩٩٦م، ص ٣٦٤-٣٦٥.

"أما بعد: إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله عليك، وفناء ما تؤتي إليهم، وبقاء ما يؤتون إليك، والسلام"(١).

وما من شك أن ممارسة حملة الإسلام لخلق العدل في مجتمعاتهم الإسلامية وفي واقعهم الحياتي حيثما ذهبوا، هو ما جعل أكبر دارسي حضارة الإنسان أن يقدموا شهادة عادلة بسبب ما وجدوه من عدل دعاة الإسلام وحملة رسالته، فمثلاً يقول ويل ديورانت: "ولم تشهد بلاد الأندلس في تاريخها كله حكماً أكثر حزماً وعدالة وحرية مما شهدته في أيام فاتحيها العرب"(٢). فخلق العدل حينما يترجم إلى واقع فإنه يشكل بذلك أكبر قوة جذب للناس ليتعرفوا على دين الله، وليدخلوا في دين الله راضين، ثم ينقلبوا إلى أهليهم مسرورين.

ويذكر الشيخ سلمان العودة بعض الممارسات السلبية لخلق العدل، منها: عدم تحري العدل في الحكم على الدعوات والحركات الإسلامية، فهو يرى أنه ومنذ "سقوط الخلافة الإسلامية، قامت في العالم الإسلامي دعوات وحركات كثيرة، تهدف إلى استئناف الحياة الإسلامية، والحكم الإسلامي، أو إلى استمرار الدعوة بين غير المسلمين، أو إلى إحياء السنة، أو ما شابه ذلك من الأهداف النبيلة. وهذه الدعوات تختلف في مناهجها وأسسها وأهدافها، وتختلف في قربها أو بعدها عن منهج الكتاب والسنة. وقد تحدث كثيرون عن هذه الدعوات ودرسوها من جوانب مختلفة، والأمر الذي تكاد أن تفقده في كثير من هذه الدراسات هو العدل. فكثير من الكتاب يكيل لها المدح كيلا، وآخر متحامل عليها. وأحياناً تسمع البعض يتحدث عن فئة من الدعاة إلى الله فيحولهم إلى مجموعة من الشياطين، ويؤول تصرفاتهم.

---

(١) ابن قتيبه، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار. دار اليقين، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٩٩٨م، ج١، ص ٣٣.

(٢) توينبي، آرنولد: الحضارة في الميزان. ترجمة: أمين الشريف. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، سنة ١٩٩٩م، ص ٨٦.

والتعميم خطأ، بل يجب لمن تصدى للحديث عن الدعوات ومناهجها التفصيل والدقة، وضبط العبارة، وذكر الجوانب المشرقة إلى جوار الجوانب المعتمة"[1].

العنصر السابع: الصّدق:



يلزم على المسلم التخلق بخلق الصدق، إذ هو محل قدوة، خاصة إذا حمل هم الدين، "إذ ينظر إليه في كل مكان على أنه صاحب رسالة، ورجل دعوة، فتحقق الداعية بالصدق من ألزم الواجبات، بل هو من أعظم المسؤوليات"[2]. وإذا كان الدعاة يعلنون دوما بأن قدوتهم وقدوة الناس الذين يدعونهم إلى الله، هو رسولنا، فها "هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلفه الله عز وجل بتبليغ الدعوة، أعطى للدعاة في كل زمان ومكان المثل الحي في سلوكه واستقامته، والأسوة الحسنة في صدقه وأمانته. فحسبه عليه الصلاة والسلام فخراً وشرفاً أن أجمعت قريش قبل الرسالة وبعدها على أنه الصادق الأمين. روى ابن هشام في سيرته عن النضر بن الحارث أن مما ذكره لقومه عن بعض أوصافه عليه الصلاة والسلام: (**هو أصدقكم حديثاً**)[3]، وروى البخاري، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ يجهر بالدعوة سأل الناس: (**لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟، قالوا: ما جربنا عليك كذباً**)"، لذلك وجب على الداعية أن يتأسّى بسيد الدعاة في صدقه، لِتُعْرف بين من تدعوهم إلى الإسلام بالصادق الأمين"[4]. وعليه، فالمسلم يلزمه خلق الصدق، أولوية دعوية، وضرورة أخلاقية أيضاً لكونه الأوْلَى بين الناس في التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بأخلاقه.

---

(١) العودة، سلمان: من أخلاق الدعاة، ص ٣١-٣٢، مرجع سابق.

(٢) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٥، مرجع سابق.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، حديث رقم: (٤٩٧١)، مرجع سابق.

(٤) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٥، مرجع سابق.

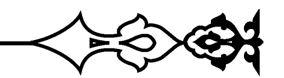
ويستلزم خلق الصدق ومكانته في الشريعة الإسلامية، أن يكون هذا الخلق أحد الموضوعات الرئيسية التي يعمل الدعاة على تبليغها للناس، ودعوة كل فئات المجتمع إلى امتثالها، وبيان أوجه ذلك الواقعية في حياتهم. كما أن على الحركات والجماعات الدعوية أن يكون من ضمن برنامجها التعاملي الثابت تقديم خلق الصدق وشرح جوانبه من القرآن الكريم والسنة النبوية وربط ذلك بواقع الناس. ويمتلئ القرآن الكريم بنماذج الصدق، منها ما قاله الله عز وجل في حق إبراهيم﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾[مريم: ٤١]. وأيضًا ما جاء من صدق الصحابة مع ربهم الله عز وجل ومع دعوتهم ومع رسالتهم التي حملوها وجاهدوا من أجلها، فقال الله عز وجل : ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال الطبري في تفسير هذه الآية: "أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضراء، وحين البأس"(١).

هذا وإن صدق المسلم مع الله عز وجل في دعوته الناس إلى دين الله، يكون سبباً في أن يَصْدقه الله عز وجل ، فيجعل لكلامه الأثر، ولدعوته القبول، ولمواقفه محل اقتداء واتباع، وذكر حسن. ونموذج آخر، هو في قصة الثلاثة الذين أغلق عليهم باب الغار، فقال بعضهم لبعض: (**إنه والله يا هؤلاء لا ينجيكم إلا الصدق، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه**)(٢). فالصدق منجاة للدعاة وللدعوة حينما تلفهم الكروب وتغزوهم المحن.

هذا ويذكر أحد الباحثين ما يمكن أن يعد تطبيقاً دعوياً لخلق الصدق، إذ يحدد ميادينه في مجال الدعوة بالنسبة إلى الداعية، ووجهه الخلقي الدعوي، فيقول: "والصدق الذي يتحلى به الداعية أنواع: صدق مع الله، ويكون بإخلاص العبودية له، والاستعانة به، والتسليم لجنابه.

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٢٠، ص ٢٣٨، مرجع سابق.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب حديث الغار، حديث رقم: (٣٢٠٦)، مرجع سابق.





وصدق مع الرسالة المنزلة، ويكون بدقة النقل، وأمانة التبليغ، وإظهار الحق. وصدق مع الناس، ويكون بالتزام العهد، وصدق الدعوة، واستقامة العمل. وصدق مع الدعوة، ويكون بمتابعة التبليغ، ومواصلة الجهاد، واستمرارية العمل، وصدق مع النفس، ويكون بملازمة الإخلاص، وتجديد الثقة، وترسيخ روح التفاؤل. فاحرص- أخي الداعية- على أن تكون ممن تحلّى بخلق الصدق، لتكون المحبة لك قوية، والثقة بك عظيمة، وتأثيرك في الناس بالغاً مداه"(١).

أما في المجال الاجتماعي؛ فيلزم على المسلم أن يكون صادقاً في أقواله، فلا يقول الكذب أو ينقل الشائعات أو يكون أقل الناس تثبتاً من الروايات والأخبار التي يسمعها، وأن يتنبه إلى أن تظاهره بالصدق في بعض المواقف أو الحركات، أو السلوكات، لن يدوم طويلاً، وسيؤثر سلباً على حياته وعلى المجتمع، ومن هنا فإن "صدق المسلم مع الله قبل أن يكون مع الآخرين من أهم عوامل النجاح؛ لأن بعض التصنعات لا تنطلي على بعض الناس"(٢). الأمر الذي يحتم على المسلم أن يأخذ بمفاتيح نجاحه ونجاح مجتمعه ودينه، والتي من أهمها مفتاح الصدق مع الله أولاً وقبل كل شيء، فإنه يفتح سائر أبواب الصدق مع خلقه.

وما من شك أن الحركات الدينية والمجتمعية التي تحرص على أن تكون صادقة في مجتمعاتها، هي بذلك تقدم سبيلًا لنصرة دين الله عز وجل ، وتمثل حقيقة لرسالة الإسلام، حتى يقبل عليها الناس، ويثقون برموزها، ويأخذون بآرائها ونصائحها، ويتبعونها في مواقفها الاجتماعية والسياسية، ويناصرونها ويدافعون عنها، وهي تكون بذلك شاهداً حضارياً على أخلاقية رسالة الإسلام ودعوة نبي الإسلام، في حين تلك الدعوات وحملتها ممن يراوغون، ويداهنون الملأ، ويزيّفون بعض الحقائق، ويكيّفون مواقفهم بحسب مصالحهم الشخصية أو

(١) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ٢٢٥-٢٢٦، مرجع سابق.

(٢) المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية، ص ٧، مرجع سابق.

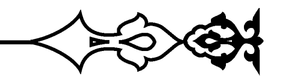
مصالح الملأ والأسياد، ويتاجرون ويتربّحون على حساب تلك المواقف التي تتطلب منهم صدق المخلصين، وحق الزاهدين، ونبل الشريفين، ليكسوا في نهاية المطاف دعوتهم بألوان قاتمة، وأثواب تلبس الناس الشك والحيرة وسوء الظن، والارتداد عن محيط الدعوة كله، وتفقده الثقة ببعض حملة الدين حتى الصادقين منهم، وصدق الله عز وجل إذْ يقول الله عز وجل : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾[القلم: ٩]. فخلق الصدق ضمانة لنموّ الدعوات وأصحابها في الأوساط الاجتماعية والحضارية، وضمانة كذلك للفوز بالعطاء الجزيل في الآخرة والنجاة من غمومها، قال الله عز وجل ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١١٩ ﴾ [المائدة: ١١٩]، أي: "ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم في الآخرة"(١).

وتزخر السنة كذلك بنماذج الدعاة الصادقين، فقد روت لنا كتب السنة عن عبد الله بن سلام، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثْبَتُّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: (**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**)(٢).

كما ذكرت لنا كتب السنة نماذج ممن قبلوا دعوة الإسلام بصدق وإخلاص فظهر ذلك في مواقفهم منذ لحظاتهم الأولى، ففي سنن النسائي، أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى

(١) البغوي، الحسين بن مسعود: تفسير البغوي، معالم التنزيل. حققه وراجع أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وآخرون. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة سنة ١٤١١هـ، ج٣، ص ١٢٣.

(٢) الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، حديث رقم: (٢٤٨٥). وقال الألباني: صحيح، مرجع سابق.



الله عليه وسلم فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه فجاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا: قال قسمته لك. قال ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا، وأشار إلى حَلْقِه بسهم، فأموت، فأدخل الجنة، قال: إن تصدق الله بصدقك، فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا في قتال عدو، فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي: (**أهو هو؟ فقالوا: نعم قال: صدق الله فصدقه الله**)[1].



العنصر الثامن: قيمة الرحمة:

يشكل خلق الرحمة عند المسلم أداة جذب ساحرة لقلوب ولنفوس المدعوين؛ لأنها تجعل ملمسه رقيقاً وجنبه ليناً، على النقيض تماماً من قساوة المسلم وغلظته، فهي تشكل "كيراً" طارداً للمدعوين، ونافخاً للرماد في عيونهم، وهذا مصداقًا لقوله الله عز وجل مخاطباً نبيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، يقول السعدي: "أي: برحمة الله لك ولأصحابك، مَنّ الله عليك أن أَلَنْتَ لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك (ولو كنت فظاً) أي: سيء الخلق (غليظ القلب) أي: قاسية (لانفضوا من حولك)؛ لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السّيء، فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين، تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص،

---

(١) النسائي، أحمد بن شعيب: المجتبى من السنن، باب الصلاة على الشهداء، حديث رقم: (١٩٥٣)، مرجع سابق.

فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟ أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله"(١).



فكم من مسلم تَقَرّبَ الناس إلى الله عز وجل وعبدوه وأطاعوه بسبب كريم خلقه رحمته ورفقه ولينه، وكم من مسلم نفر الناس من حوله ومن سماع كلامه، بل ومن المساجد، بل من التدين أحياناً، بسبب غلظته، وقساوته، وجلافة جانبه، ونشاف ريقه.

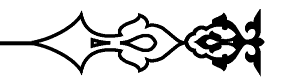
هذا وإن شفقة المسلم وسيلة مُثلى في الوصول إلى الله، يقول الشيخ الجليل فتح الله كولن: "إن المبلغ هو بطل الشفقة والرحمة قبل كل شيء، لا يتوسل لدفع الآخرين إلى قبول الحق الذي يدعو إليه بالوسائل الخاطئة كاستعمال القوة والخشونة والإكراه؛ لأن استقرار الإيمان بالله في القلوب ليس بهذه الوسائل قطعاً بل الشفقة في الإرشاد تلين القلوب وترقق الوجدان. لقد اعتلت الشفقة الذروة في أخلاق الرسول كما هي في جميع خصاله الأخرى. فلقد أسس دعوته على ركائز جليلة كالشفقة، وبلغها في جو دافئ من الحنان والعطف. وفي الحقيقة ليس أمام الشفقة والرحمة باب مسدود لا يمكن فتحه، فجبال الثلج التي لا تذوب بالشفقة والرحمة لا يُذيبها شيء قطعاً. لذا إن كنتم تريدون (المبلغون الدعاة) ربط الناس بعضهم ببعض بمحبة دافئة عليكم أن تطوهم تحت جناح الرحمة والشفقة أولاً"(٢).

ولذلك فإنه لا يتصور في الإسلام أن تجد مسلمًا يدعو إلى الإسلام، ولا يجعل من الشفقة مطيّة له إلى قلوب الناس، يقول زيدان: "إن الداعي لا بد له أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم، والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم؛ لأن في هذه

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٥٤، مرجع سابق.

(٢) كولن، فتح الله: طرق الإرشاد في الفكر والحياة. دار النيل، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٦م، ص ١٨٧.





الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم برضوان الله عز وجل ، وهكذا كان الأنبياء رحماء بمَنْ أرسلوا إليهم، مشفقون عليهم من العذاب، قال الله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأعراف: ٥٩]، فقوله عز وجل : إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، لا يصدر إلا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم"[1].

وكذلك قول الرسول: (**إنما مثلي ومثل أمتي، كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تَقَحّمون فيه**)[2]. فهذا تصوير فني يحمل كل دلالات ومعاني وأبعاد شفقة النبي صلى الله عليه وسلم العميقة والأصيلة بأمته. وهذا ما على معاشر الدعاة أن يعتلوا مقامه، وأن يُعرفوا به بين الناس، إنه "مقام الشفقة"، يجعلون منه سلماً للصعود إلى نفوس أفراد المجتمع والدخول إلى قلوبهم من خلاله، لجذبها بكل لطف وحنان إلى محراب العبودية لله أرحم الراحمين.

أما في المجال الاجتماعي؛ فإن من غصون خلق الرحمة عند المسلم، شفقة الرجل بأهل بيته، حيث تدفعه هذه الشفقة إلى الحرص الشديد على هدايتهم، وعلى إنقاذهم من النار. أسوته في ذلك أنبياء الله عز وجل ، أسياد الدعوة والدعاة، فمن ذلك شفقة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأبيه، كما سجّل لنا القرآن هذا النداء الرحيم الذي ينبض بالشفقة من الابن باتجاه والده، لا المؤمن العاصي، بل غير المؤمن أصلاً، قال الله عز وجل حكاية عن إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾[مريم: ٤٤ – ٤٥]، وكذلك شفقة سيد الرحماء نبينا

---

(١) زيدان، عبد الكريم: أصول الدعوة، ص ٤٠٣، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب شفقته على أمته، حديث رقم: (٦٠٩٥)، مرجع سابق.

بآل بيته، حينما خاطبهم قائلاً لهم: (**يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً**)[1].

ومن غصون رحمة المسلم رفقه بأفراد المجتمع ولين جانبه لهم، حينما يقوم بتعليمهم وإرشادهم، فالتعليم هو جزء أساسي من عمل الداعية ومهامه الأساسية، ولا بد أن يتم التعليم في أجواء من الرفق والتلطف. وعلى المسلم أن يتخلق بذلك اقتداء بنبيّه، ففي حديث معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذْ عطس رجل من القوم، فقلت يرحمك الله، فرمَاني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه. ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمّتونني، لكنّي سَكَتُ، فلما صلى رسول الله، فبأبي هو وأمّي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كَهَرني، ولا ضربني ولا شتمني، قال: (**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن**)[2].

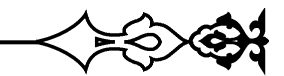
وكذلك واقعة الأعرابي الذي بال في المسجد، فعالج النبي صلى الله عليه وسلم الموقف برفق وتلطف، فأمر بإراقة الماء لتطهير المكان، قائلاً: (**فإنما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسّرين**)[3]؛ وذلك لما رأى بعض الناس ثاروا إلى الأعرابي ليقعوا فيه، فقدر حاله وجهله، وكان رفيقاً معه، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما يقول: (**إن الرفق لا يكون في**

---

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب في قوله وأنذر عشريتك، حديث رقم: (٥٢٢)، مرجع سابق.

(٢) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب تحريم الكلام في الصلاة، حديث رقم: (١٢٢٧)، مرجع سابق.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب صب الماء على البول، حديث رقم: (٢١٣)، مرجع سابق.





شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شأنه)[1]. ولا شك أن الرفق في دعوة الناس هو أولى تلك الأشياء، فالمسلم الذي يريد لدعوته ولتعليمه أن يكون جميلاً وحسناً، عليه أن يشفعه بالرفق، وعليه أن يدرك بالمقابل، أنه حتى لو كان يعلم الناس أحكام الدين ويدعوهم إلى النجاة، ولكن بأسلوب منزوع منه الرفق والرحمة، فليعلم أن موقفه الدعوي هذا والتعليمي، موقف مشين، ممجوج.

ومن غصون رحمة المسلم تلطّفه مع عالم الأطفال والطفولة، وقدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعية الأول، حيث كان يقبّل الأطفال، ويحملهم، ويداعبهم، ويرحم بكاءهم في الصلاة فلا يطيلها، ويوصي بهم، وتدمع عينه لفراق أبنائه الصغار، وغير ذلك مما تحفل به كتب السنة[2]. ومن مشاهد الرقة والعطف والحنان والتلطف الذي لمسه الأطفال الذين عايشوا عهد النبوة، من سيد الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك قدوة وأسوة للمؤمنين في كل زمان، أن يرعوا الطفولة، وأن يخصوها بمزيد من الترفق والتلطف والحنان، فهم قادة المستقبل.

ويستشعر المسلم عظم خلق الرحمة وتوابعه من الشفقة واللين والرفق واللطف والعطف والحنان، فيدفعه ذلك إلى العمل الجاد على تحصيل هذا الخلق، والتخلق العملي به. ولعل من الوسائل التي تعين المسلم على ذلك، وسيلة الدعاء، وذلك بأن يطلب من الله عز وجل أرحم الراحمين، الذي وسعت رحمته كل شيء، أن يفيض عليه من رحمته، وأن يملأ جوانحه بالشفقة والرقة، وهذه وسيلة قرآنية راقية، قال الله عز وجل في حق عباده أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

(١) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب فضل الرفق، حديث رقم: (٦٧٦٧)، مرجع سابق.

(٢) الصحيح، باب رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج٧، ص ٧٦).

العنصر التاسع: قيمة القوة:

قال ابن فارس: قوي: القاف والواو والياء، أصلان متباينان، يدل أحدهما- وهو يعنينا- على: شدة وخلاف ضعف. وهو القوة، والقوي: خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى، وهي: جمع قوة، من قوى الحبل. والمقوي: الذي أصحابه وإبله أقوياء[1]. وقوي قوة: كان ذا طاقة على العمل، والجمع أقوياء، والقوة هي مبعث النشاط والنمو والحركة، وتنقسم إلى طبيعية وحيوية وعقلية[2]. والقوي اسم من أسماء الله عز وجل [3].

والقوة: تستعمل في معنى القدرة، كما في قوله الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣]، ويستعمل المعنى بالقدرة في البدن، كما في قوله الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[فصلت: ١٥]، وفي القلب، نحو قوله الله عز وجل: ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢]، وفي المعاون من الخارج، كما في قوله الله عز وجل: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]، وفي القدرة الإلهية، كما في قوله الله عز وجل: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥][4].

والشجاعة في اللغة، من شجع شجاعة، بمعنى: قوي قلبه، واشتد عند البأس، والجمع

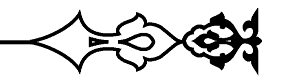
---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ص ٨٦٦، مرجع سابق.

(٢) إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٧٦٨-٧٦٩، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٦٩

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، ج٢، ص ٢٧٥، مرجع سابق.





شجعاء، وشجاع وتشجع: تقوى وأقدم، والشجاع: الجريء المقدام، والجمع: شجعان[1].

ويعرف "حبنكة" الشجاعة بأنها: "قوة في عزيمة النفس، تدفع إلى الإقدام بعقل في مخاطرة بعمل أو قول لتحصيل خير، أو دفع شر مع ما في ذلك من توقع هلاك أو مضرة يقينًا أو ظنًا". والشجاعة المحمودة هي: "الإقدام بعقل في مخاطرة يرجى منها خير أو دفع شر"[2]. وكما في مقابل القوة يأتي الضعف، كذلك "في مقابل الشجاعة يأتي الجبن"[3].

ويمكن للمؤلف تعريف "القوة"، من خلال ما سبق بيانه، ومن خلال فهمه للنصوص الواردة في معنى القوة بالآتي: "القوة: إمكانات مادية وصفات معنوية، بها تتحمل الصعاب، وتدفع المشاق، وتجلب المنافع".

وعليه فخلق القوة في الإسلام يعني امتلاك الإمكانات المادية والتخلق بالصفات المعنوية الحميدة، التي بها يتحمل المسلم الصعاب والمشقات، ويدفع الآلام والمضرّات ويستجلب المنافع والخيرات لنفسه ولأمّته، وهذا المدلول الشمولي للقوة، هو ما تؤيده النصوص، حيث يدلّ بعضها على الإمكان المادي والقدرة المحسوسة كما في قوله الله عز وجل: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الكهف: ٩٥]، والشدة المعنوية كما في قوله الله عز وجل ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[الأعراف: ١٧١]، ويدل بعضها على الجانبين للقوة، كما في قوله الله عز وجل: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، يقول السعدي: "أي: كل ما تقدرون

(١) إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ص ٤٧٣، مرجع سابق.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص٥٨٦، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٨٧

عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك، فدخل في ذلك أنواع الصناعات، والمراكب، والحصون، والرأي والسياسية، التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، والشجاعة والتدبير"[1].

هذا؛ وحينما يتخلق المسلم بخلق القوة المستمد من عقيدته الإسلامية، فإنه يلتزم قول الحق مع القريب والبعيد، ويمده هذا الخلق بطاقة إيمانية تجعله يستهين بالقوى المادية الأرضية، لقوله الله عز وجل: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٩]، وتجعله كذلك يتحرر من الخوف على مستقبله أو الحرص على دنياه، فلا يجبن أمام ما تتطلبه منه عقيدته من مواقف دعوية صادقة[2].

ويستحق المسلم القوي الشجاع، "امتداح الله عز وجل للذين يبلغون رسالات الله، ويخشونه، ولا يخشون أحداً سواه، قال الله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]"[3].

ومن هنا كانت فضيلة الجرأة بالحق من أعظم الجهاد، لما روى أبو داود والترمذي وابن ماجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: (**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**)[4].

وكان الذي يستشهد في سبيل كلمة الحق سيد الشهداء، لما روى الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: (**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره**

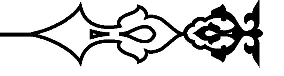
---

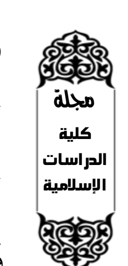
(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٢٤، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٠

(٣) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص ١٣٩، مرجع سابق.

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، حديث رقم: (٤٠١٢)، مرجع سابق.





ونهاه فقتله)[١].

وقد كان يأخذ العهد من أصحابه على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت، أنه قال صلى الله عليه وسلم : (**بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره.وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**)[٢]. وتاريخ الدعوة والدعاة مليء بسيرة رجال يقولون الحق، ولا يخافون في الله لومة لائم"[٣]. وفي هذا تحقيق لقول الله الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال ابن كثير في قوله الله عز وجل :(يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِّ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ): "أي: لا يردهم عمّا هم فيه من طاعة الله، وقتال أعدائه، وإقامة لحدوده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يردهم عن ذلك رادّ، ولا يصدهم عنه صادّ، ولا يحيك فيهم لوم لائم، ولا عذل عاذل"[٤].

فالمسلم القوي بالله عز وجل إذا ما تعارض بين يديه مهابة الناس مع مهابته لله الله عز وجل وخوفه منه، قدم مهابته لله الله عز وجل على مهابته للناس، تحقيقاً لقوله الله عز وجل: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة: ١٣]، قال ابن كثير: "يقول الله عز وجل : لا تخشوهم وأخشون، فأنا أهل أن يَخشى العباد من سطوتي وعقوبتي،

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، حديث رقم: (٣٧٤)، مرجع سابق.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب كيف يبايع الإمام الناس، حديث رقم: (٦٧٧٤)، مرجع سابق.

(٣) علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية، ج١، ص١٣٩، مرجع سابق.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣،ص ١٣٦، مرجع سابق.



فبيدي الأمر وما شئت كان، وما لم يشأ لم يكن"[1]. فهم "يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة هممهم، وعزائمهم"؟[2]. وهكذا فإن خلق القوة والشجاعة لدى المسلم يقود إلى تفعيل الدعوة، وإظهار مواقفها في وقت الشدائد والمحن دون خوف ولا فزع، ويقود كذلك إلى مواجهة الباطل وإنكار المنكر، وإحقاق الحق، وكشف النفاق وأهله، وإغلاق أبواب الفساد، ونوافذ المفسدين، ولولا هذا الخلق العظيم، لما جاهد المجاهدون، ولما رفعت راية الجهاد، وبذلت الأنفس والأموال، ولما عرف كثير من الناس الإسلام ودعوته.

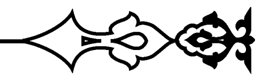
وينال المسلم القوي الشجاع، درجة عالية في منازل الصالحين، وهو ممن يحبهم الله عز وجل كما جاء في الحديث الشريف، قال رسول الله: (**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**)[3]. إذ أن المسلم القوي، هو من فئة المؤمنين الأقوياء الذين فازوا بمحبة الله عز وجل لهم.

وتشكل القوة أحد عوامل نجاح المؤسسات الدعوية، وذلك بأن تحرص على إحكام بنيانها المادية والعلمي، وتقويته بكل ما يمكن من روافد بقائه وعطائه، استجابة للآية الكريمة:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فعليها أن تحرص على تقوية الجانب المادي لمؤسساتها الدعوية، وتوفير الدعم المالي اللازم لها، وتهيئة كوادرها الدعوية والتنظيمية بشكل جيد، وتربية الوعاظ والدعاة التربية الإيمانية الصحيحة التي تؤهلهم لتبليغ حقائق الدين ومقارعة الباطل بجرأة وثبات بعيداً عن الوهن والمداهنة، وذلك أيضاً فيه تحقيق لقوله الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا

(١) المرجع السابق، ج٤، ص ١١٧.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٢٣٥، مرجع سابق.

(٣) ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة، حديث رقم: (٦٩٤٥)، مرجع سابق.



مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ [البقرة: ٦٣]، ولقوله الله عز وجل: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريم: ١٢]، أي: بجدّ وحرصٍ واجتهاد وعزيمة وثبات(١). وهذا هو شأن المؤسسات الدعوية والدعاة إلى الله أن يحملوا الدين في أنفسهم ورسالته إلى الآخرين، بعزيمة وثبات، وجدية وصرامة.



وتحفل مسيرة الدعوة الإسلامية بنماذج الدعاة الأقوياء والشجعان، وفي مقدمتهم سيد الدعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي جاهد في الله حق جهاده، وسيد من جهر بالدعوة وصدع بالحق وتجرّأ على مواجهة الباطل ورده ومقاومته. وأمثلة الشجاعة في حقه كثيرة، وكذلك قوته وصلابته في تدينه وحمله للأمانة، وقيامه بدعوة القرآن. وكذلك تزخر كتب السيرة بنماذج الدعاة من الصحابة رضوان الله عليهم. فمن نماذج القوة في مواطن البأس والمحنة، حينما يشتد الإيذاء بالدعاة، ويتقوى الأعداء عليهم، موقف الصحابي المقدم، صاحب السوابق والمناقب، والقدم الراسخة في مدافعة الباطل، أبو بكر الصديق، فعن محمد بن عقيل عن علي أنه خطبهم فقال: "يا أيها الناس، من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: أما إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فو الله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس. قال: ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش، فهذا يحادّه وهذا يتلْتله ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟ فو الله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا، ويجاهد هذا،

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص ٢١٦، مرجع سابق؛ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، ج١٦، ص ٧٥، مرجع سابق.

ويتلْتل هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم رفع علي برْدة كانت عليه فبكى حتى أخْضلت لحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم فقال علي: فو الله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه"(١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

يقول فتح الله كولن حول التضحية باعتبارها إحدى نواتج القوة الإيمانية والشجاعة والجرأة: "إن التضحية من أهم خصائص المبلغ، فالذين لا يضعون التضحية نصب أعينهم من البداية– أو يعجزون عن ذلك– لن يكونوا من رجال الدعوة، بينما المستعدون للتضحية، سينصب لهم عرش دعوتهم في الذرى، فالمهاجرون عندما تجشموا كل هذه التضحية في سبيل تبليغ دعوتهم التي آمنوا بها والتمثل لها، استقبلهم أهل المدينة، الأنصار بالترحاب، وضمّوهم إليهم. فرجال التبليغ والإرشاد أيضاً في الوقت الحاضر، عليهم أن يُنفّذوا هذا المفهوم للتضحية، والتي تمثلت في عهد الصحابة الكرام"(٢). والواقع يشهد بأن قِطار الدعوة إلى الله عز وجل ، ما زال يقدم المزيد من النماذج الفريدة التي امتازت بخلق القوة وتحلت بالشجاعة، فوقفت مواقف سجلت لها في تاريخ الدعوة والإسلام بمواقف أمة بأسرها، سواء في حمل أمانة تبليغ الدين، أم في الوقوف في وجهة أعداء الدين من طواغيت الأرض وصناديد المناصب وسدنة الكراسي.

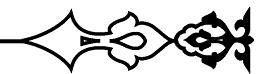
أما في المجال الاجتماعي؛ فإنه إذا ما تخلق المسلم الحق بقيمة القوة؛ فإن لذلك المدلول والأثر القوي على المجتمع، من خلال الجرأة بالحق، والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١)الكاندهلوي، محمد يوسف: حياة الصحابة. تحقيق: نايف العباس. دار القلم، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ.

، ج١، ص ٢٧٣.

(٢) كولن، فتح الله: طرق الإرشاد في الفكر والحياة ص ١٩٣– ١٩٤، مرجع سابق.



المنكر، وفض المنازعات، وزجر العصاة والخارجين على الدين والعرف والقانون، وهذا لا شك من شانه أن يؤثر على المجتمع إيجابًا وتطويرا.

العنصر العاشر: قيمة الحِلْم:



ما من شك أن المسلم أولى من غيره بخلق الحلم، وكذلك بخلق العفو؛ وذلك لأن هدف المسلم تحقيق غاية الدعوة، والتي هي هداية الناس إلى الحق المبين، وهذه الغاية في طريق تحقيقها لا بد أن تواجه المسلم مواقف نفسية وإنسانية واجتماعية فيها الإساءة، وفيها الطيش، وفيها عوامل الاستفزاز والتنكر للمعروف، والتجاوز للحد، بل وفيها الإساءة الجسدية فوق المعنوية، وفيها استثارة مكامن الغضب والانتقام في النفس الإنسانية، وبالتالي فإن على المسلم الذي يسعى لنجاح أهداف دعوته أن يكون على درجة من التخلق بخلق الحلم وبخلق العفو بما يؤهله لامتصاص كل عوامل الاستفزاز، وتجاوز كل مواطن القهر، والترفع عن جميع مغريات الانتقام للذّات. وهو بالتأكيد ما سيعْبُرُ به إلى قنطرة الأمان وحيادية النفس، التي ستفتح له أبواباً لطالما قفلت في وجه آخرين، وستجذب قلوباً إلى الهدى لطالما صدت عنه وكرهت أصحابه الذين يدعون إليه؛ لأنهم كانوا دوماً الأقرب إلى الانتصار للذات والطيش أمام صور الجهل ودواعي الاستفزاز التي تصدر من المدعوين، الذين قد لا يفقهون ما يفقهه الداعية، ولم يصلوا بعد إلى مستوى من الإيمان يحول بينهم وبين ردود الأفعال السلبية. لذا لزم في عنق المسلم أن يحلم على عامة الناس، وأن يعفو عن المسيئين منهم، رجاء أن يكون ذلك أداة جذب لهم إلى رحاب الهدى والإيمان.

هذا وإن المسلم المتخلّق بخلق الحِلم، يدعو لمن أعرض عن قبول دعوته، أو تأخّر في تلبيتها أو صدر منه موقف جهول، لكنه لا يدعو عليه؛ لأن الدعاء له يحقق هدف الدعوة أما الدعاء عليه فلا يحقق هدف الدعوة، فضلاً عن أنه انتصار للنفس، ولنا العبرة في موقف الطفيل بن الدوسي، وكان قد أسلم ثم رجع إلى قومه يدعوهم فأبوا عليه، عن أبي هريرة،

قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة، ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا، فقال صلى الله عليه وسلم : (**اللهم اهد دوساً، وأئت بهم، اللهم اهدِ دوسا، وأئت بهم**)(١).

وهذا "يدل على حلم النبي صلى الله عليه وسلم وصبره، وتأنيه في الدعوة إلى الله عزوجل، فإنه لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من ردّ الدعوة، ولكنه دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر، فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين، وهذا مما يوجب على الدعاة إلى الله عز وجل العناية بالحلم في دعوتهم"(٢).

ولعل أولى الناس في أن يحلم عليهم المسلم هم أهل بيته، فيدعو لهم بالهداية لا يدعو عليهم. وإن بعض الناس إذا ما واجه إعراضاً من مدعوٍ ما أو ردة فعل سلبية منه، بادر إلى الدعاء عليه. وهذا ليس من أخلاق النبوّة، بل الواجب هو الدعاء له بأن يشرح الله صدره للحق وللهدى. وقد يتعرض المسلم للأذى، ويستطيع أن ينتقم ويرد، لكن إذا عفا عند المقدرة، كان عفوه بالغ الأثر في نفس من يدعوه، فيستجيب له"(٣).

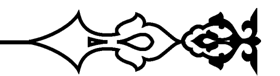
أما في المجال الاجتماعي؛ فإن المسلم يسير في تخلّقه بخلق "الحلم" على سير وهدى الأنبياء والرسل الدعاة إلى الله عز وجل الذين امتدح الله فيهم خلق الحلم، لقيامه في نفوسهم وفي واقعهم وفي دعوتهم على الحقيقة، ولم يكن مجرد شعار أو نظرية يدعونها، بل لمس الناس فيهم

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، باب من فضائل غفارة، حديث رقم: (٦٦١١)، مرجع سابق.

(٢) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٠٩، مرجع سابق.

(٣) المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية، ص ١٩، مرجع سابق.



خلق الحلم، وكان للمدعوين الحظّ الأوفر منه. يقول "حبنكة" في معرض ذكره لأمثلة في الحلم عند الأنبياء: "ومن الأمثلة العظيمة لخلق الحلم، حلم هود على قومه، فلقد قابل شتائم قومه له، وجهلهم عليه، بحلم عظيم، وصبر جسيم، وصدر واسع. شتموه بأنه ناقص العقل سفيه، وبأنه من الكاذبين، فقابلهم بنفي صفة السفاهة، وأكد لهم أنه صادق في رسالته غير كاذب، وفي بيان ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٥ – ٦٨]، ومن الأمثلة العظيمة لخلق الحلم (كذلك)، حلم نوح عليه السلام ، فلقد واجهه قومه بالشتيمة، فرد عليهم بالحلم، وفي بيان ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٩ – ٦٢][1].

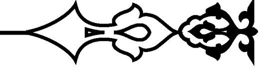
والمقصود أن هذه مواقف عملية تجلى فيها حلم أنبياء الله عز وجل مع المدعوين من أقوامهم في مواطن تستدعي من الطبيعة الإنسانية ردّة فعل انتقامية، وانتصاراً شديداً للنفس، ولكنهم أنبياء الله، يعرفون أن الدعوة إلى الله عز وجل تقتضي منهم رحابة الصدر، وعدم الطيش، واستيعاب مواقف المدعوين المستفزة، رجاء أن تنشرح صدورهم لدعوة الله الله عز وجل، ويقبلوا بهديه.

ومن نماذج العفو السامية والرائعة في حياة الصحابة الدعاة ما كان من أبي بكر الصديق،

(١) المرجع السابق، ص ٣٤٨-٣٤٩

والذي سجل القرآن ذلك الموقف، حيث يقول الله عز وجل :﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، قال ابن كثير: "يقول الله عز وجل (ولا يأْتل) أي: لا يحلف (أولو الفضل منكم) أي: الطول والصدقة والإحسان (والسعة) أي: الجدة (أنْ يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) أي: لا تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين، وهذه في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام، ولهذا قال: (وليعفوا وليصفحوا) أي: عما تقدم منهم من الإساءة والأذى، وهذا من حلمه الله عز وجل وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم. وهذه الآية نزلت في الصدّيق حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة، بعدما قال في عائشة ما قال. فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه، شرع الله عز وجل وله الفضل والمنة، يعطف الصدّيق على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد ولق ولقة (زلق زلقة) تاب الله عليه منها، وضرب الحدّ عليها، وكان الصديق معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله الله عز وجل :﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك، وكما تصفح نصفح عنك، فعند ذلك قال الصدّيق: بلى، والله إنا نحب– يا ربنا– أن تغفر لنا، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصدّيق هو الصدّيق رضي الله عنه وعن بنته"(١).

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٦، ص ٣١، مرجع سابق.





الخاتمة والنتائج والتوصيات

أولا: الخاتمة والنتائج:

وفي النهاية؛ فقد قدم البحث تأصيلًا علميًّا عن مفهومي القيم والأخلاق، وعرج إلى بيان الآثار المترتبة على تطبيق هذه القيم، في المجتمع بأسره، سواء على المستوى العلمي أو العملي "الدعوي والاجتماعي"، ويمكن إيجاز أهم نتائج البحث فيما يلي:

١. أن القيم الأخلاقية المستنبطة من قصص أصحاب الشرائع السماوية لها الأثر البالغ في تقويم طلبة العلم، وفي نقل أقوال العلماء والحديث عنهم بكل أمانة ودقة.

٢. أن القيم الأخلاقية من شأنها أن ترفع مجال الدعوة وتهيئه ليكون الأنجح والأنجع عن غيره من المجالات التي من شأنها تقريب العباد إلى ربهم.

٣. أن القيم الأخلاقية لها الأثر الكبير في بناء مجتمع صالح يسوده الصدق والإخلاص ويعمه العدل وتفوح منه الأمانة ويغشاه الحلم.

٤. ترسي القيم الأخلاقية لدى طلبة العلم والباحثين قواعد رواسي، تكون منهاجًا قويما لهم في حياتهم العلمية، وذلك من خلال: السعي الحثيث لطلب العلم ومعرفه طرقه ومناهجه، والعمل الدءوب على مجالسة العلماء والتقرب إليهم، وصدق النقل في الأخبار والروايات التي ينقلها طلبة العلم. وبزوغ فريق كبير من طلبة العلم يعمل على نقل العلوم والمعارف، وتحلي طلبة العلم ومن يشتغل في المعارف بالصدق والأخلاق الحميدة. وإرساء الثقة في المجتمع تجاه العلماء وطلبتهم.

٥. تنعكس القيم الدينية على أصحاب العمل الدعوي، وذلك من خلال: تحقيق العبودية لله، وضبط السلوك والتصرفات عن الخطأ والوقوع في المعاصي، والصدق في القول والفعل حتى لا يكون هناك تعارض بين أقواله وأفعاله، والتآلف والتواد بين الدعاة بعضهم بعضا، والسمعة الحسنة للدعاة في المؤسسات الدعوية والمراكز والجمعيات.

٦. تؤدي القيم الأخلاقية نجاحًا باهرًا في المجتمعات الإسلامية خصوصًا، وذلك من خلال: انتشار الصدق والحب بين الناس، والتعامل بالرحمة بين الكبير والصغير، وتفشي خلق التواضع بين الناس حتى يسمع الكبير من الصغير والعالم ممن دونه.

ثانيًا: التوصيات:

١. ضرورة عقد الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية لمعالجة القضايا الإنسانية المختلفة.

٢. الاهتمام بدراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية دراسة مقارنة مع ما جاء من قصص دينية وآثار؛ لما في ذلك من ربط بين العلم والدين، مما يدفع لقبولها والعمل على نتائجها.

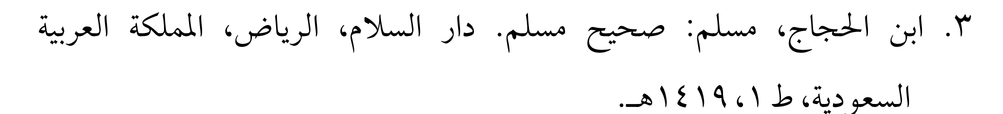
٣. العمل على حث الدارسين والباحثين في المجالات المختلفة للعمل على تقديم مقترحات علمية لمعالجة قضايا الإنسانية، كل حسب مجاله وتخصصه.



قائمة المراجع

١. إبراهيم، مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، د. ط. سنة ١٤١٠هـ.

٢. ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي. دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ.


٣. ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم. دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩هـ.

٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: طريق الهجرتين وباب السعادتين. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٢، سنة ١٩٩٤م.

٥. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. تحقيق: محمد علي يوسف. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٨م.

٦. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٩٧٣م.

٧. ابن حبان، محمد بن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ.

٨. ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري. تحقيق:عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت.

٩. ابن حميد، صالح، وابن ملوح: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم. دار الوسيلة، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٩٩٨م.

١٠. ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرناءوط، وعادل مرشد. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩م

١١. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٩م.

١٢. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ.

١٣. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني: سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٦م.

١٤. ابن مسكويه، أحمد بن يعقوب: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. دار طيبة للنشر، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ٢٠١٠م.

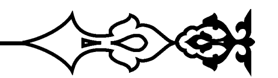
١٥. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط ١، د. ت.

١٦. أبو سليمان، عبد الوهاب: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة. دار الشروق، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٠٨هـ.

١٧. الأسمر، أحمد رجب: مكارم الأخلاق في الإسلام. دار الفرقان، عمان، الأردن، ط ١، صنة ٢٠٠٨م.

١٨. الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة. مكتبة المعارف،

مجلة كلية الدراسات الإسلامية



الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط. ١٤١٥هـ.

١٩. الألمعي، إبراهيم مضواح: روائع الطنطاوي، روائع من أدبه وفوائد من كتبه، ويليه الفوائد الطنطاوية، فوائد لغوية من حواشي كتب الشيخ الطنطاوي. دار المنارة، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، سنة ٢٠١٠م.

٢٠. إمام، إمام عبد الفتاح: فلسفة الأخلاق. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩٠م.

٢١. البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد. تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٨م.

٢٢. البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري. دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤١٩هـ.

٢٣. البغوي، الحسين بن مسعود: تفسير البغوي، معالم التنزيل. حققه وراجع أحاديثه: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة، وآخرون. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة سنة ١٤١١هـ، ج٣، ص ١٢٣.

٢٤. بلال، عبد الحكيم: الإخلاص وهم الدعوة. دار المنى، عمان، الأردن، ط ١، سنة ٢٠٠١م.

٢٥. الترمذي؛ محمد بن عيسى: سنن الترمذي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل. دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط ١، ٢٠٠٩م.

٢٦. توينبي، آرنولد: الحضارة في الميزان. ترجمة: أمين الشريف. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، سنة ١٩٩٩م.



٢٧. جابر، عبد الحميد جابر، وكاظم أحمد خيري: مناهج البحث في التربية وعلم النفس. دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٧٨م.

٢٨. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني: التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ.

٢٩. الحارثي، حمود جابر مبارك: أهمية الأناة وأثرها في الدعوة. دار المسلم، الرياض، ط ١، سنة ١٤١٩م.

٣٠. حريري، عبدالله محمد أحمد: القيم في القصص القرآني الكريم. رسالة دكتورة غير منشورة، جامعة طنطا، سنة ١٩٨٨م.

٣١. حسنين، سمير محمد: تطبيقات في مناهج البحث العلمي؛ بحوث الإعلام. دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٩٢م.

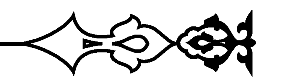
٣٢. الخالدي، صلاح: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل. الدار الشامية، دمشق، سوريا، ط ١، سنة ٢٠٠٨م.

٣٣. خطاطبة، عدنان: أخلاق الدعية في الإسلام وتطبيقاتها في المجال الدعوي. دار عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، سنة ٢٠١٣م.

٣٤. دراز، محمد عبدالله: الدين؛ مجموعة بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. المطبعة العالمية، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٥٢م

٣٥. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤١٥هـ.

٣٦. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.



٣٧. الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية، بيروت، لبنان، د. ط. ١٣٨٥هـ.

٣٨. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل: إعراب القرآن. تحقيق: إبراهيم الإبياري. دار الكتب الإسلامية، بيروت، لببنان، ط١، صنة ١٤٠٤هـ.

٣٩. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٦م.

٤٠. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٦م.

٤١. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت.

٤٢. الشرباصي، أحمد: موسوعة أخلاق القرآن الكريم. دار الرائد العربية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٩م.

٤٣. شكري، فايزة: القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط ١، سنة ٢٠١١م.

٤٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم: المعجم الصغير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم، الموصل، العراق، ط ٢، سنة ١٤٠٤هـ.

٤٥. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية. دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢م.

٤٦. الطويل، توفيق: فلسفة الأخلاق؛ نشأتها وتطورها. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط

١، سنة ١٩٨٥م.

٤٧. العباد، عبد المحسن بن حمد: من أخلاق الأنبياء. دار الرشد، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٩م.

٤٨. العرعور، عدنان بن محمد: منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة. دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ٢٠٠٣م.

٤٩. العفاني، سيد: صلاح الأمة في علو الهمة. دار العفاني، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٥م.

٥٠. علوان، عبدالله ناصح: أخلاق الداعية. دار السلام، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩١م.

٥١. علوان، فهمي محمد: القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، سنة ١٩٨٩م.

٥٢. العموش، بسام: فقه الدعوة. دار النفائس، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ٢٠٠٥م.

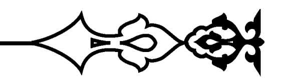
٥٣. العودة، سلمان بن فهد: من أخلاق الداعية، سلسلة نحو ترشيد الصحوة. دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤١١هـ.

٥٤. الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين. دار الشعب، القاهرة، مصر، ط ١، د. ت.

٥٥. الغزالي، محمد: خلق المسلم. دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٨٧م.

٥٦. فائز، أحمد: طريق الدعوة في ظلال القرآن. دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٢٢ هـ.

٥٧. فرعوش، كايد، خالد القضاة وآخرون: الأخلاق في الإسلام. دار المنهاج،





عمان، الأردن، ط ١، سنة ١٩٩٩م.

٥٨. الفوزان، صالح: من أخلاق الأنبياء. دار الهدى، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٣٠هـ.

٥٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي. دار الرسالة، بيروت، لبنان، د. ط. د. ت.

٦٠. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة. منشورات مكتبة الألوكة الإلكترونية، د ط، د ت.

٦١. القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه السنة وآي الفرقان. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخرون. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦م.

٦٢. قطب، سيد: تفسير في ظلال القرآن. دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة، سنة ١٩٨٦م.

٦٣. قميحة، جابر: المدخل إلى القيم الإسلامية. دار الكتاب المصري، لقاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٨٤م.

٦٤. قنصوة، صلاح: نظرية القيم في الفكر المعاصر. دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط ٢، سنة ١٩٨١م.

٦٥. الكاندهلوي، محمد يوسف: حياة الصحابة. تحقيق: نايف العباس. دار القلم، بيروت، لبنان، ط ٢، سنة ١٤٠٣هـ.

٦٦. كولن، فتح الله: طرق الإرشاد في الفكر والحياة. دار النيل، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ٢٠٠٦م.

٦٧. الماوردي، محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين. دار المصطفى، القاهرة، مصر، ط ١، سنة ١٩٩١م.

٦٨. مكاوي، حسن عماد: أخلاقيات العمل الإعلامي، دراسة مقارنة. الدار المصرية اللبنانية، ط ١، سنة ٢٠٠٣م.

٦٩. مكروم، عبد الودود: الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة. دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، ط ١، سنة ١٩٩٦م.

٧٠. المناوي، نرين الدين: فيض القدير شرح الجامع الصغير. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٤١٥ هـ.

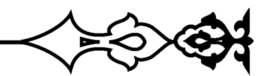
٧١. المنجد، محمد: أثر الأخلاق في نجاح الداعية. دار الهدى، عمان، الأردن، ط ١، سنة ٢٠٠٥م.

٧٢. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها. دار القلم، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٩٩م.

٧٣. النسائي، أحمد بن شعيب: المجتبى من السنن. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، سنة ١٩٨٦م.

٧٤. النووي، يحيى بن شرف بن مري: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٢هـ.

٧٥. النووي، يحيي بن شرف: المجموع شرح المهذب. مكتبة التضامن الأخوي، القاهرة، مصر، د. ط. د. ت.




مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية